

فور



كل الحقوق  
محفوظة

دار لوغاريتم للنشر والتوزيع

رقم الإيداع: 2020 /2571

I.S.B.N: 978-977-6799-11-0

تصميم الغلاف: حسن العربي.

الإخراج الفني: ضياء فريد.

المدير العام: إيناس ناصر.

المدير التنفيذي: شادي أبو شهبه

✉ [Logarithmpublish@gmail.com](mailto:Logarithmpublish@gmail.com)

٠١٢٨١٠٥٢٨٢٤

نور

روایت

محمد علی



## الإهداء

تتناوب علينا الليال بعقبات القدر لتجعل من حياتنا معنى،  
قليل منا من يدرك حقيقة قدره ولكن دوماً نُسارع إلى تراهات  
العقل صانعين لأنفسنا طرق مختلفة رغم إدراكنا التام أن النهاية  
حتمية وأنها واحدة.

أهدي حكايتي ومثاهات عقلي إلى الروح التي بذلت جهودها  
لإرشادي طريقاً لم أتمنى يوماً أن تكون تلك نهايته .. إلى نور .



ما زالت تطاردني تلك الأحلام لا أعلم لماذا لا تفارقني قط؟!  
أتذكرها دائماً، ولكن ما يحيرني حقاً..  
هل أنا مريض كما يزعم البعض! أم أنني بخير مثلما تقول أمي  
وصديقي إسلام؟!  
كم تمنيت أن أرتاح من كل ذلك..  
عند هذه الجملة تركت الكُتَيْب الذي كُتِبَ فوقه باللون الفضي  
(مذكراتي) وغصت في سريري وأنا أتذكرها، أتذكر وجهها وكل ما  
كان يدور بيننا، حتى ظهر ذلك الباب أمامي وما أن دلفت إلى  
داخله..

- محمود! محمود!، اصحى إيه الكسل ده كله؟!  
أفتح عينيّ بتعب وإرهاق لأراها، نور!!!  
تبتسم دائماً كعادتها ولكن فاجأتني بتلك الضربة فوق رأسي  
لتزلزل عقلي وتشتت تفكيري!!



- محمود!! محمود!!!

وأنا ألهث وكأني قد ركضت أميلاً ولا أستطيع أن ألتقط  
أنفاسي، فتقول أمي وهي تحتضني وتقطر عيناها دمعا...  
- تاني يا محمود؟ نور!! نور ماتت يا محمود!!! ماتت،  
ماتت!!!

لقد صعقتني الكلمة!! كادت أن تهوى بعقلي إلى السراب..  
روى الدمع خدي وارتخت جفوني حين سمعت تلك الكلمة  
(ماتت) كيف؟! كيف ماتت وتركتني وحدي؟! لا أعلم كيف،  
هناك فقط تلك الصورة المنقوشة بعقلي والتي قد رسمتها في  
مذكراتي..

= لا يا أمي نور مستحيل تكون ماتت، نور عايشة..  
- لا يا محمود نور ماتت، فوق بقا من أوهامك دي فوق،  
نور ماتت من سنين طويلة، من قبل حتى ما تشوفها،  
كفاية بقى حرام عليك اللي بتعمله فيا ده!.  
= ماما!! إنت بتقولي إيه؟! يعني إيه نور ماتت من قبل ما  
اشوفها?!  
- أيوا يا محمود نور ماتت من عشر سنين، من قبل ما  
نعزل ونسكن هنا..  
= إيه!!

هنا شعرت وكأنه قد سُكب على رأسي ماء بارد وتملكتني  
رعشة دبت في عروقي، توقف عقلي عن التفكير وعجز لساني عن  
الكلام من هول المفاجأة!!

تدور أمام عيني كل لحظاتها التي قضيناها معاً "أنا ونور" ...  
= أنا مش فاهم حاجة، ازاي يا أمي نور ماتت؟! وازاي  
كنت بشوفها؟! وازاي كنا بنقعد نتكلم مع بعض  
ونخرج سوا؟!!

- معرفش، معرفش..

ثم تركتني وركضت تغادر غرفتي باكية، وأنا تجمدت في  
مكاني لا أستوعب شيئاً...

وتساؤلات كثيرة ظلت تدور في ذهني إلى أن أفقدتني وعيي.  
أستيقظ على صوت الكناري، أفتح عيني لأبصر قفصاً ذهبياً  
بداخله عصفورين من الكناري معلق على نافذة الغرفة، غرفة لونها  
قرمزي وسرير بيضاوي الشكل وأمامي شاشة تلفاز معلقة على الحائط  
ثم شعرت بحركة بجانبني نظرت ووجدت امرأة ممددة يغطي وجهها  
شعرها المنسدل كحرير أصفر اللون وكشفت وجهها...،  
انها "نور!!"

انتفض جسدي من الدهشة فإذا بها تستفيق من نومها لتنظر  
إلى وجهي الذي اعترته تعابير الدهشة فتقول:

- صباح الخير نديم، مالك وشك مخطوف كدة ليه؟!  
أكيد شربت امبارح كثير وجيت متأخر!

ازدادت حيرتي، مَنْ نديم؟! وأين أنا؟! هل هي بخير أم أنا  
الذي لست بخير?!!

= نديم!! مين نديم؟! وشربت إيه أنا ماشرش، أنا مش  
فاهم حاجة يا نور!

- نور مين؟! إنت امبارح كنت مع بنات كمان؟! اسمي  
منة يا نديم مش نور.

أنا حقاً لا أفهم أيّ شيء مما يحدث..!!

تذهب نور إلى ذلك الباب فتفتحه وتدلف إلى داخله وحينما  
سمعت صوت خرير الماء علمت أنه الحمام، ذهبت إلى النافذة  
لأحاول التفكير وفهم ما يحدث وحينما مررت بالمرآة المعلقة  
بجوار النافذة رأيت ما جعلني أفقد اتزانتي..!  
أنا لست أنا!!

اعتدلت ثانياً لأتأكد مما رأيت، وجدتني رجل في الثلاثين  
من العمر، وجه غير مألوف لي، شعر أسود يتخلله من الجانب بعض  
البياض، ذقن خفيفة وشارب، عينان خضراء يميلان للأزرق، وزني  
زائد ولكن لدي عضلات كثيرة وكأني مصارع، وقفت وفاهي  
مفتوح دون إدراك شيء حتى أتت نور التي تقول أن اسمها منة من  
الخلف لتقول:

- الحمام جاهز يابتاع نور، روح خدك دش يفوقك  
يمكن تنسى السهرة الجميلة..

حاولت جاهداً إدراك ما أنا فيه ولكن دون جدوى ذهبت إلى الحمام لأحاول أن أستفيق داخل المياه ثم غصت في حوض الاستحمام بملابسي الداخلية علني أتذكر شيء، أي شيء، حاولت ولكن، ما تذكرته هو ما كنت عليه وتذكرت وجه أمي وهي تقول: (نور ماتت من قبل ما تشوفها!)

انتفض جسدي فور سماع الجملة وأيضاً بسبب نقص الأكسجين فقد سقطت إلى عمق الحوض، أخرجت رأسي مسرعاً لأستنشق الهواء فما أن فتحت عيني واستنشقت الهواء الذي أنعشني قليلاً ثم، سمعت صوت زئير أسد!!!

نظرت أمامي لأجدني بغابة داخل بحيرة وقبالتي ثلاثة أسود تقف منتظرة خروجي من الماء، تنظر إلي وكأنني طبق اليوم!! تملكني ذهول تام ورعشة رعب دبت في جسدي، نظرت في الماء فرأيت وجهي!!

= ما هذا؟!

لقد تغير شكلي تماماً! وجدتني شابا في العشرين من العمر على رأسي جدائل شعر وتملاً وجهي تلك الخطوط السوداء كأنني جندي مارينز في إحدى الأفلام الأمريكية، تبرز عضلات جسدي بوضوح حتى أنني شعرت بتلك القوة بداخلي،

ثم التفت لأرى خلفي من بعيد تماسيح تعرج إلى البحيرة وأنا في حيرة ماذا أفعل وما هذا الوضع الذي أنا به؟!

ولكن لا يهم، ما يهم الآن كيف سأخرج مما أنا فيه؟! حاولت  
جاهداً أن أبتعد ولكن أمامي الأسود ومن خلفي التماسيح ثم لاح  
أمام ناظري جبلاً قد تدلى من الأعلى من تلك الشجرة العملاقة ما  
أن أمسكته وحاولت الخروج من الماء حتى أتاني تمساح من أسفلي  
فقضم قدمي وكأنها قطعة خبز..

اعتلت وجهي ملامح طفل صغير يبكي وينوح من شدة الألم  
لوقوعه بقسوة على الأرض فما لبثت بضعة ثواني حتى تحشرج  
صوتي وسقطت فوق التماسيح لأصير وجبة دسمة لهم.

غصت في قاع البحيرة وأنا أشاهد موتي بعينين نصف حية  
أرى بداخلها آخر لحظات حياتي أرى كيف أتلفظ آخر أنفاسي قبل  
أن تغمض عيناى تماماً....

ثم... سمعت صوتاً فهلعت مرعوباً إلى أعلى وأنا أسعل وأطرد  
من حلقي ماءً كاد يخنقني حقاً لأجد نور قد كسرت باب الحمام  
في فزع وما أن دلفت للداخل حتى احتضنتني بقوة وهي تقول..:

- نديم، إنت لازم تروح لدكتور مش هقدر أتحمّل تاني  
موضوع الإغماء اللي بيجيلك ده أنا بقالي ربع ساعة  
بخبط عليك ولولا إني حسيت إنك أغمّ عليك كان  
ممكّن...!!

ولم تكمل الكلمة فقط احتضنتني بقوة أكثر..

- نديم، إسلام مستنيك على الشاطئ برة!

..هنا تملكنتي فرحة..

= إيه، إسلام موجود؟! فين أنا عايز أقابله.

وما إن هممت بالخروج إلا وهي قد أمسكت بي بسرعة..

- نديم! إنت هتخرج عريان؟!

= يا إلهي، لقد سهوت عن أنني لا أرتدي سوى ملابسني

الداخلية التي قد دخلت بها الحمام..!!

دلفت إلى الغرفة و ارتديت ملابسني و ذهبت إلى الخارج

لملاقاة إسلام فهو الوحيد الذي سيشرح ما يحدث لي.

ولكن يا ترى، هل هو حقاً إسلام صديق طفولتي أم هو أيضاً

قد تغير!!

عندما خرجت وجدته واقفاً أمام الشاطئ واندفعت الدماء في

عروقي وقفز قلبي فرحاً عندما وجدته هو ذاته إسلام صديقي.

احتضنته وكأني لم أره منذ زمن..

= إسلام ازيك عامل ايه! أخيراً لقيتك!

- لقيتني؟ ازاى يعني؟! ده احنا ملناش كام ساعة سايبين

بعض! ها، قولي عجبك نارين؟! بت من الآخر،

نقاوتي والله.

أصابني الدهول مما أسمع، يبدو أنني حقاً مريض..

= إحنا كنا مع بعض بالليل؟! ازاى يا إسلام؟! أنا بقالي

أسبوعين ماشوفتكش، ونور بتقولي إن اسمي نديم وإن

اسمها منة، أنا مش فاهم حاجة يا إسلام هو أنا عيان؟!!



دام الصمت لحظات ثم قال:

- نديم أو محمود مش هتفرق كثير، ونور أو منة برضو  
مش هتفرق كثير، بس عندي سؤال محيرني!
- اشمعنى شخصية إسلام اللي متغيرتش معاك؟!!!
- بقالك كثير بتهزي بكلام غريب ويتسأل والدتك ايه  
اللي بيحصلك ده..
- .. طيب مفكرتش هيا فين الست والدتك؟! ..
- طيب مفكرتش إنت ازاي وصلت للشاليه اللي فيه  
منة؟!!
- .. آه صحيح، أنا بعذرلك نسيت أعرفك بنفسي، د.  
شاكر طبيب أمراض نفسية وعصبية، الألم اللي حاسس  
بيه في دماغك ده بسبب الكهرباء  
= كهربا! كهربة إيه؟!!!
- تقدر تقول كده زي جلسة علاج بصدمات الكهرباء  
بس دي على العصب المبهم بس.  
= أنا مش فاهم حاجة!
- هتفهم كل حاجة مع الوقت، المهم دلوقتي عاوزك  
توصفلي محمود وتحكي لي عن حلمك ممكن؟!!
- = أوصفك نفسي! وأنهى حلم فيهم؟ أنا أصلاً مش قادر  
أفهم إيه الواقع وإيه الحلم..

- ده طبعي في حالتك إنت أعراضك دي بتشبه أعراض ال (LTLE) مصطلح علمي لنوع من أنواع (صرع الفص الصدغي) بس فيها تشتيت شوية تقدر تقول كده زي مصطلح أدهم صبري..

= رجل المستحيل بتاع الروايات!؟

- أيوة، إنتَ كمان (ن ١) حالة نادرة في فصيلة نادرة علشان كده محتاج أسمع منك إيه اللي كنت بتشوفه أو اللي كنت عايشه، آه صحيح علشان متعفش نفسك في إيه الحقيقي وإيه الخيال مش هتفرق كثير، احكي الاتنين و أعتقد كده إن الموضوع مش هيصرك في شيء..

= حاضر يا دكتور..

ارتخيت للخلف وبدأت أسرد للدكتور شاكر ما عشته ثم صعقتني جملة "اوصفلي محمود!!"

ماذا سأقول له؟! إنه هو محمود!!

أشحت بنظري اليه من جديد، فأصابني الدهول!

إنها نور!!

إنها هي، كيف هذا؟ والغرفة!! كيف تغيرت؟

أأأ..إنها غرفتي، وأنا ممدد على فراشي..

- محمود، إنتَ قلقتني عليك أوي، إنتَ كان مغمي عليك

وبقالي خمس ساعات جنبك بحاول أفوّك!!

- = نووور!!
- أيوة يا محمود نور، مالك فيك إيه؟!
- = نور .. إنتِ نور صح!!
- أيوه أنا نور يا محمود إنتِ كويس؟!
- = إزاي، أنا فين؟! .. إيه اللي حصل!! أنا مش فاهم حاجة؟!
- محمود مالك بس فيك إيه إنتِ كان مغمى عليك..
- = مغمى عليا!! يعني كل اللي شوفته ده كان حلم؟! .. فين ماما؟! عايز أوريها إنك عايشة وموجودة أهو قدامي..
- محمود! أنا عايزة أقولك حاجة كان المفروض أقولها لك من فترة كبيرة أوي، ... أنا مش عايشة ...
- تلك الصاعقة كانت قاضية، نعم لقد صعقتني تلك الكلمة التي أعجز عن فهمها..
- = مش عايشة!! يعني إيه يا نور؟!
- يعني مش موجودة يا محمود إلا في ذاكرتك وبس، محمود أنا عارفة إنه صعب عليك تفهم كلامي ده بس هتفهمه بعدين مع الوقت، كل اللي طلبناه منك دلوقتي إنك تعيش سعيد، أو تدور عليا لو عاوز تفهم..
- ما أن أنهت كلماتها إلا وذهبت من أمامي للخارج، حاولت جاهداً تجاهل الألم الذي بمؤخرة رأسي وذهبت مسرعاً خلفها..

فتحت باب الغرفة مسرعاً وخرجت فانزلت قدمي فسقطت من أعلى الجبل، لا أعلم كيف أتى ذلك الجبل أمام غرفتي سقطت قرابة السبع دقائق متواصلة وأنا أرتطم بأحجار الجبل حتى وصلت إلى سفح الجبل، كان جسدي يئن من كثرة الآلام التي تملكنتني حاولت الوقوف فوجدت لكمة قوية على وجهي جعلتني أسقط أرضاً مغشياً عليّ..

حينما أفقت من ألم اللكمة وجدتني مقيداً رأساً على عقب ومن أسفلي حيوانات غريبة لم أرى لها شبيهه، تشبه إلى حد ما كلب ولكن ضخم وله قرنين في مقدمة رأسه ولا يوجد له ذيل يقف على ثلاثة أقدام اثنان بالمقدمة وواحدة بالخلف، له أنياب طويلة وله ثلاثة أعين، عين لونها أحمر بالمنتصف وعينان سوداوان، يلهث فتتساقط من لسانه قطرات تتفاعل مع التربة لتُخرج دخاناً وكأنها نيران..

وأمامي رجل طويل القامة يمتلك هراوة بها قطع مدببة، ومن خلفه إناس ساجدة على الأرض مكبلة بالأغلال ومن خلفهم عدداً هائل من حاملين الهراوات نظرت إلى ذلك الرجل أمامي فوجدته يتسم ليظهر ناب لونه أصفر مقدمته بيضاء ومؤخرته مليئة بالدماء، تحت قدمه وجدت أحشاء إنسان كانت الحيوانات الغريبة تأكل منها ووجدت في يده الأخرى قطعة لحم تشبه ذراع إنسان..

ثم رأيتها، نور تأتي خلفه مكبلة ومن حولها ثلاثة من مالكين  
الهرات ثم ألقوا بها أسفل قدمه فتفوهوا جميعا بكلمة لكنتها  
غريبة..

رافعين أيديهم بالهرات إلى السماء وكأنها لحظة انتصار..  
ما أن انتهوا من صيحتهم إلا وأتى قائدهم وضربها بالهراوة في  
وجهها فانفجرت منه الدماء..

أراها تنظر وفي عيناها آلاف الكلمات تعجز عن نطقها..  
قام بعد ذلك بإنزالي وطرحي أرضا على ركبتي  
ثم رأيته يرفع يده بالهراوة وينزل بها فوق رأسي حتى شعرت  
بذلك الألم

انشقت رأسي إلى نصفين وينسال منها خريز دماء يتساقط أمام  
عيني ..

ثم يلفظ كلمات لم أفهمها حتى ذهبت إلى عالمي من جديد..  
أجد نفسي جالسا على أريكة بمنزل لم أشهده من قبل ونور  
تأتي من باب زجاجي من خلفي  
تجلس بجواري وتبتسم ثم تقول:

- صباح الخير يا حبيبي، محبتش أقلقك قلت اسيبك  
تمام شوية شكلك كنت تعبان من الفرح امبارح،  
شكلك جميل أوي وإنّ نايم زي البيبي اللي لسة  
مولود جديد، يلا يا حبيبي أنا جهزتلك الفطار..

لم أَلْفِظَ بحرف واحد فقط استمررت بالنظر في كل أركان المكان الذي أجد نفسي به لعلني أفهم شيء..

صالة واسعة مستديرة من خلف الأريكة، أجد غرفة قد توارب بابها لأرى من الداخل على ضوء خافت سرير يملؤه الزهور وأرضاً تملؤها قصاصات لامعة وبالونات تبقت منها أثراً فقط..

وبجوار الغرفة ينسدل ستاراً صانعاً برواز لامع على صورة تجمعي أنا ونور بفستانها الأحمر المرصع بالزهور الزرقاء وكأنها صورة عروسين..

بجانب الأريكة غرفة أخرى وضع على بابها بضع لاصقات أطفال تحبو .. وبين الغرفتين رأيت مزهية موضوعة فوق منضدة كانت ألوانها غريبة لم أراها من قبل وكأنها مزيج بين الأبيض والفضي ونترات ذهبية معتقة باللون الأسود، جزيئات غريبة من الألوان صانعة الإبداع بذاته ثم لاحظت على المزهية بين ثنايا الألوان أوجه صعب تمييزها من النظرة الأولى إلا إذا دقت النظر بها وكأنها لوحة فنية .. أطلت النظر للمزهية حتى لاحظت أن الألوان تتحایل على النظر وكأنها تتحرك بصورة دائرية ثم رأيتها تتحرك إلى تلك الأوجه لتنظر إليّ وتبتسم!!..

انتفضت من فوق الأريكة بعدما لامست كتفي يد نور، يالا وقتك اللعين!

- حبيبي، مش سامعني!! بقالي ساعة بقولك أنا جعانة وعازية آكل ومستنيك، عملتلك الحمام اللي بتحبه..

= نور!!

- يا عيون نور، وقلب نور، كنت مراهنه نفسي إن أول  
كلمة هتقولها أول ما تصحى هي اسمي .. بحبك ..

= يا نور! احنا فين!؟

- احنا في بيتنا يا حبيبي إنت نسيت والأ إيه!  
بيتنا ازاي، طيب أنا بحلم والأ ده بجد اللي أنا فيه؟  
- ههههه للدرجة دي بتحبني! حياتك معايا كانت حلم  
بالنسبة ليك

بعد أن زادت حدة صوتي..

= نور أنا بتكلم بجد؟

- مالك يا نديم أنا مش فاهمك!، إنت نسيت إننا اتجوزنا  
امبارح!

= اتجوزنا امبارح ازاي! نديم .. نديم مين!؟

- نديم!! إنت ماسك في إيدك سكينه ليه!؟!!

= سكينه إيه!؟..

أرفع يدي ببطء شديد بعد أن شعرت بثقل بها وقبضة يدي  
تلتف حول شيء لأرى سكين!!

نظرت الى نور فإذا بها تضع يدها على صدرها وخرير الدماء

ينسال منها..

تتعسر قبضتي لتسقط من يدي السكين صانعة صوتاً مدويّاً  
يزداد تدريجياً حتى أنني لم أستطع أن أتمالك نفسي وخرت قوّاي  
وسقطت على ركبتي واضعاً يدي فوق أذني ومازال الصوت يرتفع  
أكثر فأكثر حتى طُرحت أرضاً...

ترى! هل تتوارى الأفكار خلف ذكريات مبهمة مليئة  
بالأكاذيب صانعة متاهات للعقل فتضعه حبيسا لذكريات لم تكن  
له أبداً؟

أستيقظ على صوت يشبه صرير قطار وبوق يرتفع صوته  
باقتراب قطاراً باتجاهي وأنا أقف بمنتصف الطريق ممسكاً بقطعة  
قماش كُتب عليها بالدماء، نور..

لحظات قبل أن يصدمني القطار ممزقاً جسدي إلى أشلاء ثم  
أراها للمرة الأخيرة تنظر إلى عيني وعيناها دامعتان ويدها كتاباً  
غلافه ذهبي كتب فوقه بخط كبير، السر، أغمضت عيني واذداد  
خفقان قلبي طارداً آخر أنفاسي..

حينما تتلامس روحي رحلتها الأخيرة يأتيني نداءً من صوت  
أكاد أميّزه، ولكنه بإسمي..

أفتح عيني بثقل شديد لأرى أمامي أمي!

= إيه ده، ماما! أنا فين!؟

- ألف حمد وشكر ليك يارب أخيراً يا بني فوقت خلاص

ورجعتلي، ليه كده يا بني توجع قلبي عليك بس!

= ماما، أنا مش فاهم حاجة أنا فين؟!!

- إنت في المستشفى ثواني هجيب الدكتور..

بعد أن ذهبت مسرعة إلى الخارج في أثر ذهولي مما أنا فيه ثم نظرت حولي في الغرفة لأجد نفسي ممدداً على سرير حديدي كلا جانبيه مغلف بطبقة شبكية من الحديد تمنعني من السقوط أرضاً ويوجد في كلا الجانبين من أعلى وأسفل حزامان أسودان اللون لتثبيت المريض من الحركة ويجوار السرير جهاز يصدر صوت صافرة كل بضع ثواني ويجواري من الناحية الأخرى جهاز يشبه صاعق ضربات القلب..

لحظات وتدخل والدتي ومعها طبيب برداءه الأبيض المعتاد .

- صباح الخير يا أستاذ محمود، حمداً لله على سلامة

حضرتك، قلقتنا عليك يا راجل هههه

= صباح النور يا دكتور، ممكن إذا سمحت أعرف إيه

اللي حصل!

بينما أتحدث معه يمسك بيدي وينظر إلى ساعته ويضغط برفق على معصم يدي ثوان بسيطة ثم يفتح عيني ويسلط ضوءاً بكشاف صغير بيده ثم يقول:

- عال عال، ضربات قلبك مضبوطة وكمان حالتك بقت

أحسن..

= يا دكتور لو سمحت عايز أفهم إيه اللي حصل وبقالي

أد إيه هنا؟!!

- اللي حصل يا سيدي إنك وإنّ نايّم على السرير وقعت،  
ووقعت فوق دماغك الأباجورة بس وقعت على مكان  
خطير لأنك كنت واقع على وشك وجاءت الخبطة  
على المخ عملتلك تربنة وارتجاج بسيط ودخلت في  
غيبوبة، بس الحمد لله إنّ دلوقتي أحسن بكثير..

= غيبوبة!!؟! .. أنا بقالي قد إيه هنا؟!

- امممم، بصراحة أنا من كلام والدتك عنك عرفت إنك  
مش من السهل إنك تتصدم ولا حتى من النوع اللي  
بيخاف أو مش مؤمن بمشيئة الله وده طبعا بعد ما  
عرفت إنك كنت محامي شاطر علشان كده أنا هكون  
صريح معاك، إنّ في غيبوبة بقالك سبعة أشهر..

= إيه!، سبعة أشهر!!

- أيوة إنّ بقالك سبعة أشهر هنا وده بسبب إن كان  
عندك خلل في جزء من المخ وقت ولادتك بس مع  
العمر بقيت كويس لحد ما حصلتلك الحادثة دي، وده  
اللي خلاك تبقى في غيبوبة كل ده، والحمد لله إنك  
فوقت لنا منها في الوقت ده غيرك ممكن يفضل سنين  
طويلة جداً وممكن كمان ميصحاش تاني..

أثرت تلك الكلمات في داخلي ولكن تلك الدموع المنهمرة  
من عين أمي جعلتني أعلم مدى ألمها ومعاناتها التي عانتها في تلك  
المدة كلها.

= طيب يا دكتور أقدر أعرف إنت هتكتبلي على خروج  
امتي؟

- للأسف، مش دلوقتي خالص على الأقل مش قبل ما  
اعملك الفحوصات اللازمة واطمئن عليك علشان إنت  
لسه المخ عندك في حالة هياج وممكن ترجع تاني في  
غيوبة..

بعد أن أصدرت تنهيدة قوية من صدري وشعرت بالألم في  
رأسي حاولت جاهداً أن أعتدل كي أقف على قدمي ولكن سرعان  
ما شعرت بالدوار الشديد ولم أستطع فأمسكني الدكتور مسرعاً ثم  
قال في صوت به حدة..

- إنت عنيد أوي قلتلك مينفعش تتحرك دلوقتي خالص  
احنا ما صدقنا إنك تفوق من الغيوبة.

ثم أردف بصوت خافت..

مينفعش إنك تكون راقد الرقدة دي لمدة سبعة شهور ومرة  
واحدة تكون عاوز تتحرك، كل أجهزة جسمك في حالة خمول  
مخدتش أوامر وإشارات من مخك من فترة كبيرة فمينفعش إنك  
تضغط على مخك بالطريقة دي لو سمحت ياريت تساعدني علشان  
أقدر أساعدك وترجع بيتك بسلام.

= حاضر يا دكتور، بس امتي هقدر أتحرك!؟

- متقلقش مش هتاخذ وقت ممكن يوم أو يومين بالكثير  
نسبة شفائك كبيرة جداً وسريعة ومناعتك كويسة وده

واضح قدامي جداً يكفي إنك قادر تشوف كويس  
وكمان قادر تتحق من اللي قدامك وتتعرف على  
الألوان وده من المستحيل إن الواحد يقدر يعمله بعد  
فترة الغيبوبة دي وبعد الخبطة دي، أنا هديك حقنة  
كل ست ساعات وأدوية كل ١٢ ساعة هتساعدك في  
ثبات الهياج وكمان هتقوي الذاكرة وتنشطك المخ  
كويس وبعض المقويات.

بعد أن أوامات له بالإيجاب نظرت إلى أمي في بهجة..

= ماما ياريت تروحي ترتاحي إنتِ شوية وبكرة إن شاء  
الله هنتكلم كتير أوي بس علشان خاطري ترتاحي شوية  
إنتِ باين عليكِ التعب والإرهاق وبعدين بصراحة أنا  
وحشني المحشي بتاعك يا ست الكل وعائز أتغذى  
بقي.

- ههههه، حاضر يا محمود، من عيوني يا حبيبي بكرة  
الصبح هيكون عندك، ثم أتت إليّ ومالت برأسها  
فقبلت رأسي ثم قالت:

- أشوفك بكرة واقف على رجلك إن شاء الله.

= حاضر يا أمي .. إن شاء الله

قبل أن تخرج أردفت قائلة ..

- أنا متشكرة أوي يا دكتور حسام على اللي إنتِ عملته  
مع ابني ربنا يجازيك خير يارب.

- لا أبداً يا حجة أنا معملتش حاجة خالص كل شيء  
بأمر ربنا احنا مجرد أسباب وبس وكمان ابنك عنيد  
جداً وقدر يتغلب على المرض وأنا واثق إنه هيكون  
بكرة واقف على رجله.

بعد أن خرجت أمي ذهب بعدها يبضع لحظات دكتور حسام  
بعد أن قال:

- إن احتجت حاجة جنب السرير في زرار دوس عليه  
هتجيك الممرضة اطلب منها اللي إنت عايزه إنما  
دلوقتي ارتاح شوية ومتعملش مجهود.

وجدت خلف رأسي جهاز ريموت معلق فوق السرير أخذته  
ونظرت له وجدته ريموت خاص بالسرير ثم ضغطت على زر عليه  
علامة مقدمة السرير مكان الرأس فارتفعت من تحت رأسي الجزئية  
الخاصة بتلك المنطقة كي يصبح مثل الشيزلونج اعتدلت قليلاً في  
نومي وبدأ يزداد الدوار برأسي وتدرجياً بدأ يقل، ثم أردفت قائلاً  
إلى نفسي:

= يعني إيه!! يعني كل اللي شوفته ده كان حلم؟ .. طيب  
ونور هيا كمان كانت حلم؟ بس ازاي تكون حلم وأنا  
أعرفها من قبل ما أدخل في الغيبوبة!

- أيوة .. أنا فاكر كويس إن أمي قالت إنها ماتت من قبل  
ما أعرفها أصلاً، يعني إيه الكلام ده!!

تدور الأحجيات في رأسي دون إجابات حتى شعرت بألم شديد في مؤخرة رأسي جعلني أصرخ من شدته ثم ضغطت على الزر لاستدعاء الممرضة لحظات وأتت بسرعة.

- أيوة يا فندم تحت أمر حضرتك

= صداع، صداع فظيع مش قادر اتحمّله

ثم ذهبت بسرعة وأتت بحقنة ثم أعطتني إياها في شرياني، دقائق وبدأت تتوارى تلك الآلام ثم طلبت من الممرضة أن تأتي لي بقلم وبضع أوراق.

بعد أن أتت بما طلبت أردفت ..

- حضرتك تأمر بأي شيء ثاني؟

= لا متشكر جداً لحضرتك، ثم خرجت ..

بعد أن وضعت القلم فوق الورقة لم أعلم ماذا سأفعل سوى أنني كتبت فقط كلمة واحدة، نور ..

وبعد عدة دقائق وأنا أنظر إلى الكلمة تذكرت آخر شيء رأيته، ذلك الكتيب ..

ثم أردفت قائلاً ..

= أيوة صح كان في كتاب صغير في يدها كانت بتديهولي،

كان مكتوب عليه حاجة .. إيه هيا؟!!! كان مكتوب

عليه إيه؟!!! .. حاول تفكر يا محمود ..

حاولت جاهدا حتى سال من فوق جبته العرق ولكني لم

أتذكر.

حاولت أن أتذكر كلماتها التي قالتها ولكني لم أستطع.  
= أيوة أيوة أنا افكرت إني لقيت سكينه في إيدي وإنها  
كانت بتنزف وبعد كده كان الكتاب! بس كان مكتوب  
عليه إيه حاول تفتكر يا محمود ..  
بينما أحاول أن أتذكر لم أدرك أنني قد حركت جسدي بالكامل  
حتى أصبحت قدمي على الأرض بعد أن ضغطت دون العمد على  
الريموت فأنزل الحاجزين بكلا جانبي السرير.  
جلست في وضع القرفصاء دقائق كادت أن تتحول إلى  
ساعات وأنا أحاول أن أتذكر تلك الكلمة اللعينة، تبا! أين ذهبت  
ذاكرتي ولكن لماذا أحاول أن أتذكر ذلك الكتيب، ترى هل يتحرك  
بداخلي شغف المحامي القديم لأعلم ما السر خلف ذلك الكتيب،  
ما السر خلفه!!

نعم! نعم إنها هي، كان مكتوب عليه السر..  
نعم أخيراً لقد تذكرتها مسرعاً مسكت الورقة والقلم وكتبتها  
على شاكلتها التي رأيتها في الكتاب  
في تلك اللحظة فقط أدركت تماماً أنني أقف على قدمي ولم  
أشعر بالدوار وأيضاً إنني قد ذهبت إلى آخر الغرفة لأجلس على  
ذلك الكرسي وأكتب تلك الكلمة!

لحظات ودخل الدكتور للإطمئنان على حالتي ولكنه فوجئ  
أنني لست على السرير وفي ذهول تام بعد أن رأني أقف على قدمي  
قال:

- مش ممكن، مستحيل، ازاي قدرت تقف وتتحرك  
عادي بدون ما يحصلك خلل في التوازن؟!  
= هتصدقني لو قلت لك معرفش!  
- ممكن تتحرك باتجاهي؟!  
تحركت أمامه وكأني فقط أفقت من نوم عادي .. فأصدر في  
ذهول صوتاً قائلاً ..
- لا مستحيل ده يحصل، وخرج مسرعاً لحظات ودخل  
ومعه ثلاثة أطباء وقال لهم:  
- شوفتوا مش قولتلكم إنه حالة نادرة، ثم بعد لحظة  
صمت، فقط نظرات إلى بعضهم البعض..  
- ممكن لو سمحت يا أستاذ محمود نعملك فحوصات  
واختبارات جسدية؟  
.. أومأت لهم بالإيجاب ..  
وبعد ساعات من الفحوصات والأسئلة قال كل منهم إنه  
بحاجة إلى البحث في حالتي وقد صنّفوها أنها نادرة الحدوث بل  
إنها معجزة!
- ثم أتاني دكتور حسام مسروراً ومبتهجاً فقلت له:  
= امتي يا دكتور هتكتبلي على خروج؟  
- بالحالة اللي إنتَ فيها دي وطريقة شفاؤك الغريبة دي  
أقدر أقولك إنك ممكن بعد يومين تخرج وممكن  
كمان قبل كده؟

ثم ذهبت إلى غرفتي وما يشغل بالي هو شيئاً واحداً فقط، أين ذلك الكتاب؟

حاولت أن أفهم تلك الأحجية وما صلة ذلك الكتاب بنور ولكن قد غلبني النعاس..

الفرق بين الحقيقة والخيال هو الفكرة الكامنة بالعقل ولكن الفرق بين الواقع والوهم هو سيطرتك على أياً منهم ولكنني قد عبرت كل ذلك فتواجدت بالفعل في خيال واقعي، ترى، هل أراها حقاً أم أنني أصنع لنفسي ذلك الوهم ولكن لماذا سأصنعه لي! هل للهروب من الواقع! إنها ليست متواجدة أم أنها بالفعل حقيقة ومتواجدة؟! تراودني أفكار عديدة حولها وتيأس أفعالي عن إدراكها ولكنها دوماً متواجدة، إنها المعاناة بنفسها ...

- محمود..! محمود؟! اصحى كفاً يا نوم.

ويحي، هل هي حقاً أم أنني مازلت أتوهم!! .. ألتفت لأنظر إلى وجهها فأجدها بالفعل هي، حقاً إنها نور!!

= لا، لا، لا، كده كثير بجد كده كثير إنتِ موجودة بجد ولا وهم ولا إيه أنا تعبت أنا عايش ولا ميت ولا إيه فهميني!!

- إنتِ ولا عايش ولا ميت يا محمود!

= يعني إيه ولا عايش ولا ميت دي بين البينين يعني! والا متعلق على الشجرة!

- ههههه إنتَ نايم، بس نايم بجسمك وبس إنما عقلك  
صاحي تقدر تشوفني وتسمعي وغيرك ميقدرش.

= يعني إيه؟ إنتَ عايشة وآلا لاء! ده حقيقي وآلا وهم  
فهميني؟

- أنا نفسي معرفش، كل اللي أعرفه إنك هتقدر تساعدي  
وإن مفيش غيرك يقدر يشوفني أو يكلمني.

= طيب فهميني أساعدك ازاي وأساعدك في إيه واشمعي  
أنا؟!!

- تساعدي في إيه هتعرفه لوحك، أنا سألتك وقولتلك  
لو عايز تفهم هتيجي ورايا وهتدور عليًا، كمل للنهاية  
يا محمود هتعرف ..

= طيب ازاي أساعدك؟

كل الأسئلة دي إجاباتها عندك إنتَ مش عندي أنا، محمود  
ارجع لحياتك وللواقع وهتفهم وساعتها هتعرف هتساعدي ازاي.

= الكتاب!! الكتاب فيه إيه وآزاي ألاقه يا نور؟

- محمود، أستاذ محمود! ميعاد العلاج.

افتح عيني بإرهاق شديد لأجد الممرضة تحمل كأس مياه  
وييدها كوب صغير الحجم به عدة كبسولات.

أخذت الدواء ثم ذهبت إلى الخارج بعد أن أَلقت جملتها

المعتادة:

تأمر بأي شيء تاني؟!!

قبل أن تعلق الباب خلفها كانت أمي قد تقدمت ومرت منه ..  
- صباح الخير يا محمود أنا جبتلك المحشي اللي طلبته،  
الدكتور حسام قالي إنك مشيت على رجلك وإنها كانت  
معجزة ..

قبل أن تكمل حديثها قاطعتها قائلاً:

= ماما، الدكتور حسام قالي إن أنا كان عندي خلل في  
المخ وأنا صغير وده السبب الأساسي في إني أدخل  
الغيبوبة بفعل خبطة حتى ولو كانت بسيطة، ازاى  
حصلتي ده؟

- أيوة إنت كنت مولود وعندك جزء ناقص في المخ  
وده كان عاملك خلل وأوهام وإنت صغير ساعتها  
الدكاترة قالوا إن الجزء ده مع الوقت هيكمل وبعد  
ما وصلت ثلاث سنوات كانت حالتك بقت طبيعية  
ساعتها عرفنا إنك بقيت بخير والدكاترة حذرونا من  
إن يحصلك أي خبطة في المنطقة دي ومع مرور العمر  
اكتمل تماماً الجزء الناقص ده حتى ده كان بيأثر على  
مستوى الإدراك عندك بالإيجاب يعني كان معدل  
الذكاء عندك مش طبيعي بس بسبب الخلل ده كان  
بيحصل معاك زي انتكاسة ومستوى الذكاء بيبقى أقل  
من الطبيعي لحد ما حالتك بقت تمام وده كان وإنت

عندك سبع سنين وأنا لما حصلتلك الخبطة دي عرفت  
الدكتور حالتك كانت إيه وساعتها فهمني إنك ممكن  
... الحمد لله يا حبيبي إنك رجعتلي تاني.

= ممكن إيه يا أمي، إني أموت؟

- بعد الشر عليك يا حبيبي

= ماما إنتِ عرفتني منين إن نور ماتت من زمان؟!!

- تاني يا محمود حكاية نور دي يا بني حرام عليك نفسك  
متقهرنيش عليك.

= جاوبيني يا أمي عرفتني منين إن نور ماتت؟!!

- عرفت من إسلام صاحبك!

= وإيه عرّف إسلام إنها ماتت أصلاً؟

- معرفش هو قالي إنه بالصدفة جدّه سأله عن حالتك  
وأخبار صحتك ولما جاءت سيرة نور وقال أوصافها  
لجدّه، جده قاله إنها كانت ساكنة هنا من سنين طويلة  
جدا وبعدها ماتت.

= جده؟!!! .. طيب يا أمي خلاص متتعبيش نفسك إنتِ؛

موضوع نور ده أنا قفلته خلاص أنا بس محتاج أرتاح  
وأؤكد إنها ماتت وبس وبعدها أوعدك مش هفتح  
موضوعها تاني.

- بعد أن أنهيت حديثي مع أمي دخل الدكتور حسام..
- صباح الخير يا أستاذ محمود إيه أخبارك بقا النهاردة؟  
= أنا تمام الحمد لله يا دكتور
- طيب الفحوصات نتيجتها ظهرت وزى ما فاجئتنا  
بوقوفك على رجلك فاجئتنا أكثر بيان مفيش أي  
خطورة عليك خالص وكل حاجة طبيعية بفضل الله ..  
= يعني ممكن أخرج النهاردة يا دكتور؟!!
- أيوة ممكن تخرج وكمان أنا بالفعل كتبتلك على  
خروج وتقدر تغادر دلوقتي لو حبيت  
= متشكر جداً يا دكتور أنا هغير هدومي.
- ليه يا دكتور حسام كتبتله على خروج هو حالته تسمح  
بالخروج؟
- أيوة يا حجة حالته الصحية استقرت جداً ويقدر يخرج  
وكمان أنا شايف إن خروجه أفضل لحالته دي علشان  
يكتسب مناعة أكثر لجسمه وكمان يقدر يرجع لحياته  
الطبيعية ويُمَارَس عمله بالمحَامة.
- .. بعد أن انتهيت من تبديل ثيابي ..
- = يلاً يا ماما نروح بقا ناكل في البيت وحشني البيت  
أوي.

إن لم يكتب لي الدكتور على الخروج حقاً لكنت جنت فكل ما كان يشغل تفكيري هو السر الذي خلف نور وكيف يعلم جد إسلام إنها ماتت وما هذه الخرافة حول أنها ماتت منذ سنين عديدة. بعد أن وصلنا إلى المنزل توجهت إلى غرفتي لأبحث عن يومياتي التي قد رسمت صورة لنور بها ثم أخذتها وتوجهت إلى الخارج على صوت نداء أمي..

- محمود إنت رايح فين؟! أوعى تكون خارج إنت لازم ترتاح الأول.

= يا ماما متخافيش أنا ارتحت كفاية أوي، وكمان لو كانت حالتي متسمحش إنني أخرج مكانش الدكتور حسام أمر بالخروج وأنا مش هتأخر متقلقيش أنا وحشني إسلام وعايز اعملها له مفاجأة إنت مش قولتي إنه كان جاي يزورني النهاردة لما عرف إنني بقيت بخير؟

- طيب يا بني خلّي بالك من نفسك ومتتأخرش يا محمود متقلقينش عليك يا بني.  
= حاضر يا ست الكل.

أسير متوجها إلى إسلام وفي مخيلتي تدور أحداث مضت وكلمات لم أستطع فهمها حتى توقفت عند باب حديدي كتب على قطعة رخام بجواره، منزل الحاج صلاح محمد ..

قبل أن أضغط على زر الجرس المجاور لقطعة الرخام وجدت الباب قد فتح على مصراعيه فإذا بإسلام متوجها للخارج حتى التقى بي فلاحظت على وجهه أثر المفاجأة ..

- إيه ده مش معقولة محمود!!! ألف حمدا لله على سلامتك دانا كنت حالاً خارج على المستشفى عندك إنت خرجت امتي!؟!

= لسة خارج حالاً وأول ما عرفت إنك هتجيني قولت اعملها لك مفاجأة واجيلك أنا ..

- طول عمرك بتفاجئني يا حودة طمني أخبار صحتك إيه!؟!

= أنا تمام الحمد لله وبخير.

- طب احنا هنفضل نتكلم من على الباب كده كتير؟ تعالى ندخل جوة ده بابا وماما هيفرحوا أوي لما يشوفوك.

بعد الترحيبات الحارة من إسلام ومن بعده والده ووالدته وبعد تداول أطراف الحديث حول صحتي وحول ما حدث أثناء غيبوتي في التغييرات في الحياة وتلك فعلت ذاك وذاك فعل ذلك ومن تولى منصب كذا ومن أصبح مشهور إلى آخره ثم قاطع حديثنا وضحكاتنا دخول جد إسلام علينا!!

أخيراً أتى من أنتظره كل ذلك الوقت!!

إنه رجلاً من النظر إليه تعتقد أنه في الخمسين من عمره فما زال محتفظاً برشاقة جسده ومظهره الشبابي وحتى ملبسه ويصبغ شعره ليصبح أصغر سناً ولكنه في الحقيقة كان عمره ٦٣ عاماً هذا ما لاحظته أثناء حديثنا قبل دخوله، يلبس بدلة بيضاء ويضع فوق عنقه قطعة قماش حريرية تارك شاربه فقط على حاله دون أن يصبغه فهو يقول أنه من صبغ شاربه ضاع وقاره.

ثم بعد تداول أطراف الحديث معنا طلبت منه أن نجلس وحدنا لكي أستشيرهُ في بعض الأمور وأكتسبُ بعض المعلومات من خبراته

وبعد أن جلسنا في تلك الباحة الخلفية للمنزل المليئة بالزهور قاطعت حديثه عن خبراته في الحياة عن العمل وشركته الناجحة قائلاً له:

= جدي أنا جيت هنا مخصوص علشان حضرتك  
وبصراحة أنا جاي بالتحديد علشان موضوع نور اللي  
قولت لإسلام عليها إنها ماتت من سنين طويلة

لا أعلم هل تلك النظرة التي أراها على وجهه نظرة خوف وعدم  
طمأنينة أم أنها نظرة ذهول من كلماتي أم أنها نظرة ألم ومعاناة...!!!  
مرت لحظة من الصمت قبل أن يومئ برأسه إلى أعلى ثم ينظر  
إلّي في عجز ويشير بإصبعه تجاه السماء ويقول:

- محمود تقدر تركز في السما فوق وتقولني شايف إيه؟

لم أفهم ما قال أو لماذا قاله ولكنني فعلت ما طلب..

= شايف سحاب وسماء.

- ركز يا محمود أكثر وحس بالكون من حواليك وحاول

تبص لأبعد شوية!! .. ها شايف إيه!؟

= جدي أنا مش فاهمك ومش فاهم عايز توصل لإيه؟

- ما هو ده بالتحديد اللي إنت بتقولي أعمله بس الفرق

البسيط إني قدرت أفكرها لسبب واحد بس! إنها

كانت النجمة الوحيدة في السماء، إنت لو بصيت

للسماء اللي شايفها دي شوية بس عينك هتتعبك من

ضوء الشمس وإنّ عاوزني أحكيلك عن نور اللي

ماتت وتتعبني وتفتح صفحة أغلقت من سنين.

= أنا شُفت نور ..

- أثر الذهول بعدما قلت تلك الكلمة الذي رأيته اجتاح

ملامحه كان كفيلاً أن أرى في عينيه الكلمة التي قالها

قبل أن يفعل.

- إنت مجنون؟! نور مين اللي شوفتها!! .. دي ماتت

من أكثر من ٢٥ سنة!

= جدي أنا مش محتاج منك غير بس إني أتأكد إنها

ماتت فعلاً، أنا شُفتها والله شُفتها وكلمتها.

- نور!! .. إنت بتقول إيه شوفتها فين وازاي وامتى؟

لم أعلم أنه لتلك الدرجة كان يتمنى أنني أقول الحقيقة وأنها  
لم تمت بعدما رأيت تلك الدموع وهي تسيل أسفل عينيه وتلك  
العرشة التي تملكته وكأنه يتوسلني أن أقول له أنها هناك في مكان  
ما تنتظرنني ولكن قد خاب ظنه.

= أنا آسف يا جدي إني فكرتك بيها بس أنا حلمت بيها  
ومعرفش ازاي شوفتها وازاي كلمتها بس هيا بتقولي  
إني أقدر أساعدها أرجوك يا جدي تصدقني أنا مش  
مجنون.

مرت تلك اللحظات من الصمت وكأنها دهر تمر على من  
ينتظر حكم الإعدام ..

- أنا عرفت من إسلام إنك كنت محامي شاطر لحد  
من سنة ونص فأتت وبعدها بطّلت تروح محكمة أو  
تستلم قضية أو حتى تتراجع في محكمة، ممكن أعرف  
السبب؟

أثرت تلك الكلمات على نفسي وكأنه قد أتى بقطعة من  
الجحيم ووضعها بداخل قلبي لتحرق داخله قبل خارجه ..  
= لو قولتلك، هتحكي لي عن نور كل شيء؟  
- هحكيلك ..

= من ثلاث سنوات جاءتني بنت طلبت مني أجيب لها  
حقها الضايح، شاب ضحك عليها وعشمها بالجواز  
لحد ما أخذ غرضه منها وهددها بالقتل لو فكرت

تفضحه وطبعاً لأنه من عائلة مستواها عالي قدر  
يضغط على البنت بأنه هيقتل أهلها، رفعتها القضية  
ومشيت في الإجراءات بعدها بأسبوع جاءتني تقول لي  
أنها ستتأزل عن القضية ودموعها على خدها، فهمت  
ساعتها إنه ضغط عليها قولتها إني هحميها هيا وأهلها  
وهجبلها حقها وصدقني واتوسلت لي إني أقف  
جنبها، وبعد أسبوعين كانت المفروض هتيجي تحضر  
الجلسة، لكن محضرتش وساعتها أصبح مفيش قضية  
من الأساس لعدم وجود المعتدى عليها، خرجت من  
المحكمة زي المجنون روحتها البيت عرفت إنها  
سافرت على بلدهم هيا وأمها وإخوتها الصغيرين،  
سافرت وراها لكن لما روت بلدها وشافتي قالتلي  
أنا آسفة ليك، مقدرتش أشوف أمي بتتدل تحت رجله  
علشان ميقتلش إخواني الصغيرين.

رجعت تاني على بيتي وأنا مش قادر أستحمل ولا قادر أفكر  
في شيء غير أن الدنيا أصبحت ضيقة أوي لدرجة إني مش قادر  
أتنفس.

= انهارت أعصابي وتعبت، ازاى يبقى الجاني قدامي  
وعارف إنه جاني ومقدرش أدينه ولا أقدر أنصف  
مظلوم!

بعد شهر من حالة الاكتئاب اللي تملكنتي قررت إني مَسبِسْ  
حق المسكينة دي يروح هدر، طلعت على النيابة وطلبت فتح  
القضية من جديد بالتوكيل اللي كانت عامله لتولي القضية وبعد  
يومين لقيتها أمامي ودموعها بتسيل على خدها وساعتها قالتلي،  
أمي ماتت!! إنت السبب، إنت السبب، إنت السبب!!!

سابنتي وخرجت، وأنا مقدرتش أستحمل حسيت إني قتلتها  
بايدي مش بس كنت سبب في موتها .. حسيت، حسيت كأن روحي  
بتخُرج من جسمي أو بتتسحب، والدنيا عمالة تلف قدامي وكل  
شيء من حولي لونه أسود لحد ما وقعت على الأرض.

تاني يوم بعد ما صحيت نزلت وأنا مش عارف أعمل إيه ولا  
أروح فين لقيت رجلي بتسحبني لبيتها عمال أقدم خطوة وأرجعها  
تاني مَنا مش عارف هروحها ازاي وأوريها وشي. طيب هقول لها  
إيه، فضلت أفكر ودماعي بتتشقق من جُوا من الألم اللي فيها من  
التفكير لحد ما وصلت عند بيتها..

صوت الصراخ اللي سمعته شدني من ذهولي لواقع آخر أصعب  
ألف مرة من الجحيم نفسه.

ساعتها لقيت الناس ملمومة عند بيتها، ناس كتيرة أوي وكله  
بيعط وأطفال قاعدة قدام البيت مع واحد ماسكهم ويحاولوا  
يدخلوا البيت ويمنعهم من الدخول وعمال يقول، لا حول ولا قوة  
إلا بالله، إنّا لله وإنّا إليه راجعون، الجملة دي كرّرها أكثر من مرة

وفي كل مرة بحس إنه بيخلع روحي من جوة، حاولت أدخل وأنا  
خايف ومرعوب منها ..

صوت الناس سَامعُه وحاسس بِإنه هيفجر نفوخي بس مش  
عارف ليه مقدرتش أفهم ولا كلمة منهم لحد ما بصيت لقيتهم  
ملمومين عند أوضة جوا وبينادوا بإسمها، جريت زي المجنون على  
الأوضة دي وشوفتَها وهما بينزلوها ويفكوا الحبل المربوط على  
رقبتها.!!!! ماتت، ماتت بسببي، انتحرت علشاني، انتحرت علشان  
مقدرتش أُجيب لها حقّها، الغريب إني ساعتها كنت شايف وشوش  
الناس كأنّها صور على حيطه شايفهم بيتكلموا بس مش سامع  
صوت، صوت الدموع وهيا نازلة من عيني على الأرض بسمعها،  
نظرتها ناحيتي وهي ميتة كأنّها عايزة تقولي ليه عملت كده بس مش  
قادرة..

جريت زي المجنون في الشوارع ودموعي زي بركان طافح  
على خدي عمّال أجري وأجري وأجري ومش عارف أروح  
فين ولا أعمل إيه مدرّتش بنفسي إلا وأنا واقف قصاد النيل،  
ضربات قلبي حسيتها، كان قلبي يقول بيخبرني مش قادر مش  
مستحمل أكون بين ضلوعك إنت مش إنسان..

دموعي بتسلخ جلدي وهي نازلة وبتقولي هفارقك عشان  
كارهّاك، كرهت شكلك وكرهت حزنك ومش عاوزاك، جسمي  
رفضني من جوة كل شيء فيّا حسيته نافرني ومش طايقني، رميت

نفسى فى النيل وساعتها قالوا عني مجنون، معذورين برضو،  
ميعرفوش إن حتى جسمي مبقاش عايز بيقى ويايا..

بعدها صحيت لقيت نفسى فى المستشفى وشوفت لهفت أُمى  
وخوفها من اللي عملته، سامحيني يا أُمى تعبتك كثير أوي معايا،  
كنت أناني، كنت جبان، مكنتش أبداً إنسان ... ساعتها عرفت إنى  
مينفعش ألبس رُوب المحاماة مرة تانية .. هي دي قصتي يا جدي  
وهو ده السبب..

بعدها مسحت بكف يدي آخر قطرات مرت من فوق وجهي  
التي لطالما لعنته تلك الدموع من قبل شعرت كأنها تواسيني  
تحتصني فتزداد انهياراً أكثر وأكثر ..

طال صمت الجد طويلاً دون التفؤهُ بحرف واحد فقط تتسارع  
فوق وجهه قطرات الدموع وتزداد هطولا وكأنه موسم الأمطار ..  
قطع الصمت بضع كلمات نطق بها..

- يظهر يا بني إن الدنيا دي مينفعش تتعاش من غير ظلم  
عمرها ما هيكون فيها مظلوم إلا لو كان فيها ظالم،  
ربك اسمه العدل وأكيد قادر ينصف كل مظلوم، تمام  
زي ما نور اتظلمت أكيد ربك هينصفها حتى لو فات  
مليون سنة..

= نور اتظلمت؟! يعني إيه يا جدي مش فاهم، اتظلمت  
ازاي?!!!

- أنا هحكيلك، نور كانت بنت جميلة جداً ربك وضع فيها صفات الجمال والأخلاق والتواضع وكانت ناصحة أوي من صغرها، كانت شاطرة في دراستها ودايماً تطلع الأولى لحد اليوم المشنوم اللي أبوها مات فيه ..

- .. أبوها كان صاحبي، كان زميل دكة زمان وكان رجل جدع أوي، مات في حادثة عربية الشغل وهي راجعة بي اتقلبت على الطريق السريع على مدخل البلد ومات كل اللي فيها، ساعتها كان نور عندها ١١ سنة .. عمري ما كنت شوفت نور بتعيط أبداً دايماً كان وشها بشوش ومبتسمة ومتفائلة دايماً حتى في اليوم ده اللي جالنا فيه خبر وفاة أبوها، مشوفتش في عيونها دموع لاء اللي شوفته ساعتها زي ما تقول تحدي إنها مش هتعجز ولا هتنكسر بموت أبوها كأنها بتقول لأبوها متخافش إنت سايب بنتك قوية مش ضعيفة وقادرة تتحدى الظروف ..

ساعتها أخذتها في حضني وقلت لها أبوكي لو كان مات فأنا أبوكي الثاني موجود لسة عايش أوعي تفكري إنك وحيدة أو مكسورة أنا دايماً جنبك ومعاكلي مكان أبوكي وأنا عارف إنك قادرة تستحملي الصدمة دي بس برضوا مش عيب إنك تعطي

وتخرجني اللي جواكي، متخافيش عمران مش هيزعل ولا هيحس  
إن بنته ضعيفة لو عيطت عليه ..

اللي حصل وقتها مقدرش أوصفلك حسيت كأنها كانت  
مستنياني أقولها عيطي ساعتها بس حسستني بإنها زي الصخر  
من برا صلب بس من جواه حمم وبراكين ومن ساعتها وأنا كنت  
بعتبرها بنتي لحد ما كبرت واتخطبت لنديم كنت فرحان أوي وأنا  
بشوفها يوم بعد يوم بترجع ترسم فوق خدودها أجمل ابتسامة وبعد  
الخطوبة كانت فرحانة بنديم أوي، كانوا بيحبوا بعض جداً أصلهم  
كانوا متربيين مع بعض ويلعبوا من وهما صغيرين مع بعض لحد  
ما حصل اللي حصل ..

= إيه اللي حصل يا جدي!؟

نظرت في عين الجد فوجدته كأنه يغرق بين أمواج الألم  
والإنكسار .. عيناه يملأها الغيظ وتكسوها الدموع ولا تفارقها  
أنين الانكسار ..

زي ما تقول يا بني إن نور كان طريقها دائماً مالياً بالدموع  
والحزن، عمري ما شوفت حد اتظلم قد ما نور اتظلمت في حياتها،  
ربك ما أراد لهاش الفرحة إنه يكمل في حياتها واتخطف منها نديم .

= إيه!! مات!؟!!

- إتقتل غدر من خونة كلاب، اتخطف من نور ومني،  
قتلوه الظلمة ..

= من نور ومنك!!!

- نديم يبقى ابني ...

صُعقت من أثر الصدمة والذهول ولكن قطع لحظتي دموع  
جدي ولاحظت البكاء من خلفي فأشحتُ بوجهي فوجدت عمّتي  
أم إسلام تقف خلفنا فهي تكون أخت نديم ..  
هلعت إلى الخارج وهي تدمع إلى تلك الغرفة المجاورة  
وأغلقت على نفسها فقال الجد:

- دي أول مرة من سنين طويلة أحكي اللي حصل ده  
وبنتي مقدرتش تنسى من وقتها اللي حصل لأخوها..  
= أنا آسف يا جدي إني اتسببت في حزن ليكم بالطريقة  
دي بس غصب عني كان لازم أعرف حكاية نور  
علشان أقدر أساعدها..

- متأسفش يا بني إنت مش سبب في حزن ولا حاجة  
إحنا أصلاً عمرنا ما نسينا اللي حصل، سبني أكملك  
حكايتها .. ابني قتل واتقتل، بس ابني قتل دفاع  
عن شرف نور واتقتل غدر من خونة كلاب غدروا  
به وقتلوه، وقتها كانت نور عندنا هنا وكالعادة كان  
بيوصلها البيت طلوعوا عليهم ثلاثة في الطريق ضربوه  
وحاولوا يعتدوا على نور بس ابني كان رجل وأنا فخور  
به مش زعلان أبداً عليه، قتل منهم اتنين والكلب اللي  
هرب كان يبقى ابن واحد من الكبار لفقوا لنديم تهمة

القتل وعرفوا يقلبوها عليه واتقتل في السجن سلطوا  
عليه المساجين وقتلوه جوا ..

بعدها بأسابيع اختفت نور، دورت عليها في كل مكان وبلغت  
الشرطة بس مَلقيوهاش، اختفت لأنني مقدرتش أحميها ما هو اللي  
كان حاميتها خلاص مات .. هيا دي يابني حكاية نور والظلم اللي  
اتظلمته ..

= يا ااه يا جدي، كل ده حصلها، كل ده شافته؟! .. ثم  
أردفت قائلاً:

= طيب والسر؟!!

- سر إيه يا بني؟!!

= كتاب يا جدي صغير مكتوب عليه السر أنا شوفته  
معاها.

ثم ذهب الجد مسرعاً إلى الخارج وبعد عدة دقائق أتى ومعه  
الكتاب ..

- هو ده يا بني الكتاب اللي تقصده؟!!

= أيوة يا جدي هو ده إنت لقيته فين ده بتاع نور صح؟!!

- لا يا بني ده كان بتاع نديم ابني كان كاتب فيه مذكراته

وكان جايب واحد تاني لنور كان مقدمه لها هدية في

عيد ميلادها ..

= أنا لازم يا جدي أوصل للكتاب دا، لازم، أكيد هلاقي فيه أي حاجة تدلني على مكانها!! .. بس هلاقيه فين وازاي!!؟

ذهبت إلى الخارج بعد أن أكملت حديثي مع الجد متجها إلى الشوارع والطرقات لا أعلم إلى أين سأذهب أو من أين ستكون بدايتي!!

شرد ذهني للحظات فيما آل إلى نور من مأساة وكيف سأساعدها دون علمي بكيفية الأحداث أو حتى دون علمي بالحقيقة فقط مجرد حكايات الجد رسمت الطريق ولكنها دون أنوار كي أسير بها لا يوجد سبيل لإنصافها إلا إن وجدت ذلك الكتاب.. تزداد صراعات عقلي وازداد الألم بداخله حتى سقطت على الطرقات مغشي عليّ ..

- لا لا الحقوني....!!

.. ده صوت نور أنا عارفه كويس!!

صرخات تعلو في الفضاء وأنين ألم يكسوها فتدب الألم بداخل قلبي ودون علمي تذهب تلك اللعينة من عيني من جديد تتساقط وتنهال على خدي فتجعلني أفيق من غيوبتي ولكن ما هذا!؟!

.. أرى أنني مكبل في عامود قديم أظني أستطيع تمييزه!!

إنه ذلك العامود القديم بجوار منزلي.

ونور أمامي ملقاة على الطريق .. كانت في ذلك الوقت الساعة تشير إلى الثانية والنصف ليلاً ... كما رأيتها في الساعة العملاقة على الطريق خلف نور.

ونور تتحرك أمامي وتجمع ملابسها التي تناثرت في الأرجاء ومن خلفها ثلاثة رجال يضحكون ويسكبونها بالخمير ليكسوها ألماً، لحظات قبل أن يتوجه أحدهم إليها ليجعلها فريسة لذئب يهوى بها إلى الجحيم .. لا يوجد أحد بالشوارع ولا يوجد من ينقذها من ذلك الحيوان المفترس اللعين ..

تصرخ ولكن دون جدوى فقط تؤلم حنجرتها بينما يسلبها اللعين شرفها ويتهاوى فوق جسدها بعدما أكمل رحلة عذابه لها فيأتي الآخر ليكمل ما بدأ الحيوان السابق له لتكتمل دائرة الكلاب الذين رأوا فريسة أمامهم ..

مرت ساعات من الصراخ والألم حتى سكنت نور عن الحراك بينما ينظرون لها الثلاثة في استعراض انتصاري ثم يسكبون الخمر ويشربون لانتصارهم عليها ..

كان ذلك قبل أن يتجه نظرهم تجاهي ويأتون إليّ بينما يزداد وجهي غضباً لا خوفاً منهم فقط ذلك الألم الساكن داخلي حاولت بكل ما أتيت من قوة أن أفك أغلالي ولكن دون جدوى حتى نظرت لأعلى فوجدت ذلك اللعين أمامي مباشرة يهوى فوق رأسي بزجاجة الخمر ثم يخرج مسدسه ويثقب قلبي ...

أوقات الموت سيكون راحة كبيرة أوي لألم ساكن جواك  
بيقتلك في اليوم مليون مرة وأوقات أخرى الموت سيكون ألمه  
أصعب مليون مرة لما يكون حد بيحبك وبيشوفك قدامه بتموت ..  
احساسي بالعجز وقتها كان ألمه أصعب بكثير أوي من  
الموت، إنك تشوف الشخص الوحيد اللي اخترته ليك من الدنيا  
كلها بيتعذب وبيموت عذابه ده بيكون زي نار بتنزّل جوا قلبك  
ولما ييموت بتحس بإن روحك نفسها اتسلّخت من جواك ..  
نور ماتت واتعذبت لكن أنا اتعذبت أكثر منها والأصعب إنني  
لسة عايش!

كان نفسي المرة دي أكون مت بجد علشان حقيقي مبقتش  
قادر أكمل في حياة مفيهاش حاجة حلوة مفيهاش غير الألم كأنه  
هواء بتنفسه والغريب إننا مش قادرين حتى إننا نتعود عليه لأن في  
كل مرة بيكون ألم من نوع جديد وصورة جديدة ..  
ممكن ألبوم صور تفتحه تشوف فيه ألم من صورة أهلك  
اللي ماتوا أو أصدقائك أو حب قديم أو لحظات حلوة ماتت لكن  
الأصعب بجد أما يكون ألبوم صورك ده هو عقلك نفسه ساعتها  
مبتقدرش إنك تبعده عنك أو إنك تغفله!!

سرعان ما يتخلل الضوء بين فراغات تلك النافذة أمامي ليثبت  
فوق عيني ويجعلني من جديد أدخل تلك الدوامة المبهمة المسماة  
بالحياة ..

أفتح عيني لأنظر من جديد ماذا سيكون الألم تلك المرة أم  
أنني لست في الدنيا وأني قد مت فعلاً؟!!

لا، إنني مازلت أحيًا ولكن أين أنا وما ذلك المكان إنه مكان  
خيالي حقاً أروع ما قد أتمنى أن أرى .. أنظر من تلك النافذة لأرى  
أمواجاً ترتطم بعضها ببعض وصوت عصفور الكناري المائل أمامي  
فوق غصن شجرة يمر من أمام النافذة وتكسوه الزهور وفي الأسفل  
أرى طريقاً مار بين مجموعة زهور بألوان كثيرة متنوعة الجمال، في  
نهاية ذلك الممر أرى فتاة في العشرين من عمرها تقف أمام البحر  
مباشرة وتداعب الأمواج ببعض الزهور التي تلقيها وتتأمل الأمواج  
وهي تداعبها وتلقيها للأعلى وكأنها تتصارع كي تمتلكها ولكن  
تقفز الزهرة في رشاقة فوقهم وكأنها تقول للأمواج أنا أجمل منكم  
ولا تستحقوني..

وما أجمل من ذلك العصفور الصغير الذي يطير بجوار الفتاة  
يغازلها كي تثبت يدها له لكي يقف فوق الزهور ويغرد أجمل ألحانة  
الجميلة وكأنها رسمة قد رسمها فنان بارع ولكنها حقيقة فقط من  
صنع خالقها.. ما زادني ذهول هو عندما التفتت تلك الفتاة إليّ،  
صعقت حقاً!! إنها نور..

تحولت ابتسامة وجهها تدريجياً إلى حزن وآسى قد امتلك  
ذلك الوجه البرئ تذكرت وقتها ما حدث بذلك الحلم أو الواقع  
المُخال لي وحين ذرفت من عيني قطرة دموع وأغلقت عيني لأمنع

تساقط المزيد للحظة فتحتها مجدداً لأرى وجه نور أمام عيني مباشرة وهي تصرخ بوجهي:

- فووق..

هلع الصرخة ألقاني إلى الخلف طريحا على الأرض ولكني لم أجد الأرض بالأسفل لقد سقطت في بئر عميق داكن أصبح مظلم شيئاً فشيئاً حتى أصبحت لا أرى النور لحظات سرقت من عمري قد مرت أمامي كشريط سينمائي تذكرت حينها قضية الفتاة المسكينة فاطمة التي لم أستطع إنقاذها تلك الفتاة البائسة التي كانت تريد فقط العيش في هدوء وسكينة الآن قد سكنت روحها دون جسدها، لامست تلك الصورة بيدي فتلاشت ثم أتت صورة أخرى بألم آخر ودموع مهترئة تتنازع فوق وجهي صافعة إياه صورة نور وهي طريحة الأرض مغتصبة وعيناها تلاحقني تمزقني ما إن لامست وجهها الشاحب إلى أن وصلت للقاع وأثناء ارتطامي به أخيراً قد ذهبت إلى وهم آخر وهو الحياة..

أفتح عيني من جديد لأرى نفس المكان نفس السرير فقط تغير بسيط وهو قدرتي على الحركة لقد أصبح جسدي بالكامل لا أستطيع تحريك أي جزء منه..

أصبحت مثل العاجز وربما أصبحت فعلاً عاجزاً ما تبقى لي في تلك الحياة..

- أستاذ محمود، حمدا لله على سلامتك .. نطقها الدكتور

حسام

- يظهر إنك مش عايز تسيب المستشفى علشان كده  
بتيجي عندنا كل شوية للدرجة دي وحشناك ولا إيه  
ههههه

= أنا مش قادر أحرك جسمي ليه يا دكتور؟

- إنت واخذ حقن تخدير في جسمك كله يا محمود وده  
بسبب إن دماغك ناشفة ومش بتمشي على العلاج،  
حالتك أصبحت أسوأ من الأول مع إني حذرتك من  
الضغط على أعصابك خصوصاً إن مجرد حركتك  
كانت شبه معجزة أصلاً.

= يا د. حسام أنا غصب عني دي مسألة حياة أو موت  
وإنصاف مظلوم لو مساعدتهوش مفيش حد هيساعده

..

- يبقى هتموت أو هتعيش عاجز طول عمرك زي دلوقتي  
كده، ولو ضغطت على أعصابك أكثر من كده حتى  
الشعور أصلاً مش هتلاقيه لأنك هتدخل في غيبوبة  
مدى الحياة وده آخر تحذير ليك وإنت حر ده إنت  
مكملتش يوم حتى من خروجك ازاى توصل للمرحلة  
دي إيه عايز تموت؟! طب مفكرتش في والدتك  
حتى!!

= طيب يا دكتور حسام همشي على علاجك بس قولي  
أعمل إيه؟

- تبعد عن أي ضغوط ومش هتخرج من المستشفى قبل ما تكون حالتك بقت تمام.
- = حاضر، أه صحيح هو أنا جيت هنا ازاي؟
- إسلام صاحبك اللي جابك ومن ساعتها وهو نايم جنب منك على الكرسي
- حاولت جاهداً أن أستدير برأسي ولكن أصبحت رأسي تزن أطنانا لم أستطع تحريكها حتى...
- = أنا بقالي قد إيه فاقد الوعي؟
- بقالك سبع ساعات علشان كده خدرنا جسمك كله خوفاً من حركتك المفاجأة لأن ده خطر جداً عليك في الوقت الحالي..
- = طب أنا هفضل في الوضع ده كتير يا دكتور؟
- مش قبل ما تكمل ١٦ ساعة على الأقل علشان تقدر تحرك جسمك وكمان هتبقى حركة بطيئة
- = إيه! يعني هفضل كده ست ساعات بدون حركة؟
- إحنا هنديلك مهدئ هيخليك تنام الفترة دي اللي دماغك محتاجها للراحة.
- = طيب يا دكتور.
- أوماً برأسه إيجابا إلى أحد الممرضات فشعرت بتدفق السائل بداخل جسدي للحظة حتى ذهبت إلى النوم من جديد..
- محمود! .. محمود ..

= بابا؟! إيه المكان ده إحنا فين يا بابا إنت مش عايش؟!

- هي دي الأمانة اللي سايبها لك يا محمود، مش قادر تحافظ عليها!

= أمانة، أمانة إيه يا بابا اللي محافظتس عليها!!

- أمك يا محمود، أمك كل يوم بتبكي عليك كل يوم تعبانة بسببك ليه يا محمود كل ده ليه..

= كله بسببك يا بابا، إنت اللي علمتني إني أجيب الحق ومسكتش عنه إنت اللي علمتني إن لو الواحد شاف قدامه حد مظلوم ومحتاج مساعدة لازم تساعده..

- لو في إيدك المساعدة تساعده وإنّ مفيش حاجة في إيدك يا محمود، إنت عايز إيه عايز تجيب حق مين والآ مين والآ مين فاطمة بنت اللي وثقت فيك وإنّ مقدرتش تصون الثقة دي واتسببت في موتها وموت والدتها والآ نور اللي بتدور على حقها بعد ما اتغير العالم كله من حواليك بص قدامك شوف اللي تقدر تساعده شوف مين محتاج للمساعدة بجد أمك المقهورة عليك دي مش محتاجة مساعدة هي كمان! إنت نفسك مش محتاج مساعدة لنفسك علشان تقدر تعيش حتى! لحد امتي هتفضل في الحالة دي الناس اللي حواليك قلقانين عليك دول مش محتاجين هما

كمان منك مساعدة أنا مش محتاج منك مساعدة،  
صون الأمانة يا محمود والحق اللي بتدور عليه ده ربك  
هو اللي قادر يرجعه متفتحش جرح من سنين مقفول  
وارجع لحياتك من تاني وشغلك..  
= بابا، بابا، بابا...

أستيقظ من ثباتي في فزع بينما يترقبني د.حسام وإسلام  
وأمي ومن خلفهم نور وفاطمة، جميعهم ينظرون إليّ وهم بيتسمون  
جميعهم ينظرون إليّ وكأنهم يتأملون وجهي الذي أصبح شاحب  
اللون ثم يتحركون إلى الخارج متجهين إلى بوابة سوداء مرصعة  
بأحجار حمراء لامعة ومُمتد من أعلاها لأسفلها سلاسل مطرزة  
بأشواك حديدية توجهت خلفهم حتى رأيتهم يتساقطون خلف  
البوابة توجهت مباشرة بسرعة إلى البوابة لأنظر ما خلفها إنها بوابة  
ما خلفها أسفلها لا يوجد سوى فراغ وكأنك خارج الكوكب تماما  
ظلاماً قاتم اللون وبالأسفل دوامات ألوانها حمراء مائلة للأسود  
أراهم جميعاً يتساقطون بتلك الدوامات بينما يترقبوني أشارت إليّ  
نور أن أقفز خلفهم ولكن قبل أن أخطو تلك الخطوة قد استيقظت  
من نومي بداخل المستشفى من جديد..

الآن أصبحت أشعر بكل شيء..

ولكنني لم أشعر بحقيقة شعوري تجاه الأمر، هل أتنازل عن  
معتقداتي وإنسانياتي وذلك السراب الذي يطارد يقظتي وأحلامي،

أم أتنازل عن شعور أُمِّي تجاهي وكل من حولي أصبح كالعاق الذي بهتت أفكاره فتلكأ على عصا الأوهام!

أنظر من جديد على والدتي التي شحب وجهها وظهرت معالم الأسي فوق جبهتها الداكنة فعلمت أنني قد تسببت حقاً في إرهابها وصديقي الذي لم يترك مكانه ولو لوهلة وأصبح على نفس ثباته في مقعده قبل أن أذهب إلى نومي العميق، حقاً إني قد أذيت العديد بحياتي ..

إمّا بقلقي وحسن نيتي لمساعدتهم وإمّا بتركي لمن يهتمون بي وتركهم!

يقرع باب الغرفة د. حسام قبل الولوج إلى الداخل فتستيقظ أُمِّي وصديقي ..

- مساء الخير جميعاً ..

- مساء النور يا دكتور

- ها، عامل إيه دلوقتي يا محمود؟

= تمام الحمد لله، بس حاسس بشوية صداع

- ده عادي جداً بسبب المهدئ اللي ادتهولك وكمان

إنت كانت حالتك فعلاً سيئة ياريت المرة دي تاخذ

بالك من نفسك يا محمود!

= حاضر يا دكتور، بس كان ليّا طلب عند حضرتك

- اتفضل اطلب؟

= ممكن أكمل علاجي في البيت عندي!

هنا توجهت أُمِّي بالحديث إليّ نيابة عن الدكتور..

- محمود إنْتِ المرة اللي فاتت أُصريت على ده ومع ذلك  
خرجت ومسمعتش كلام أي حد ودي النتيجة وأنا  
مش حمل إني أشوفك في الحالة دي تاني  
.. ثم عقبها إسلام قائلًا:

- أنا رأيي برضو من رأي والدتك يا محمود إنْتِ مشوفتش  
حالتك كانت عاملة ازاي إحنا افكرناك مُت فاهمني؟  
ولكن الغريب بالموضوع هو صمت الدكتور حسام فلم يعلق  
بحرف واحد فقط ترك الغرفة وخرج لنصف ساعة ثم عاد من  
جديد ومعه خطاب بيده..

- اتفضل يا محمود...!

= إيه ده يا دكتور؟

- ده طلبك! أمر خروجك من المستشفى ومتابعة حالتك  
في البيت وممرضة هتكون معاك.

.. حقاً ذلك أثار ذهولي ولكن ما رسم فوق جبهات والدتي  
وإسلام كان أعجب من ذلك الحديث فكانت علامات التعجب  
تعقبها علامات غضب لا أعلم لماذا فعل ذلك د.حسام وما غرضه  
منه!!

= ممكن سؤال؟

- اتفضل يا سيدي مع إني مش محتاج أسمعك منك  
لأنني عارفه وعلشان كده هجاوبك من غير ما تسأل ..

سؤالك هو أنا ليه وافقت على طلبك مع إني رفضت  
الفكرة دي بالبحاح وكمان المرة دي كانت الحاجة  
وصاحبك مؤيدين لرأيي كمان؟ صح!..

= أيوة ...

- بص يا محمود أنا في الأول وفي الآخر اللي يهمني  
حياة المريض وإنه يمثل للشفاء مهما كانت الطريقة،  
المرة اللي فاتت لما طلبت إنك تخرج وأنا كنت رافض  
ده لأنك كان عندك فضول رهيب إنك ترجع للعالم  
بتاعك وتلاقي إجابات لأسئلة عندك ولو كنت فضلت  
هنا كان هيبقى خطر أكثر من خروجك علشان كده  
وافقت بعد ما حسستك إن ده ضد رغبتني .. المرة دي  
أنا أصريت على عدم خروجك قبل ما تاخذ المهدئ  
وكنت عارف برضو إنك هتكون عايز تخرج بس  
باختلاف بسيط أوي إنك المرة دي لقيت إجابات  
وعرفت كمان إنك محتاج إيه بعد ما عرفت العواقب  
كويس جداً علشان كده أنا عارف ومتأكد إنني لو كنت  
قولتلك إن حالتك متسمحش بخروجك كنت هتفضل  
هنا بس أنا غرضي إنك تكون في المكان اللي فيه  
أهلك وبيتك وهتكون عارف عواقب المسؤولية أكثر  
عشان كده وافقت ..

= أنا متشكر جداً لحضرتك يا د. حسام والمرّة دي أنا  
هسمع كلامك وهمشي على العلاج بتاعك متقلقيش  
يا ماما هكون كويس..

بعد أن تحركنا من المستشفى إلى البيت برفقة والدتي وصديقي  
والممرضة مروة توجهت إلى غرفتي التي ظهر عليها الغبار بعض  
الشيء فقد غبت عنها لفترة كبيرة حتى حين عودتي لها لم ألبث بها  
يوماً واحداً.

توجهت إلى مكثبي وجلست عليه أنظر إلى أوراق المبعثرة  
وأحاول أُلِمُّ شتاتها، لحظات ثم أتت إليّ الممرضة ومعها كوب  
صغير به بضع أقراص وكوب ماء ثم قالت:

- اتفضل يا أستاذ محمود ميعاد الدواء ..

= شكراً مروة ..

- حضرتك أنا جهزت وجبة الغداء ولازم تخلصها لأن  
جسمك أصبح ضعيف وفيها مكونات غذائية جيدة  
لحضرتك.

= ماشي يا مروة حاضر هخلصها كلها مع إني مش بحب  
الشورية والمسلق بس حاضر.

- حضرتك هتتعود عليهم مع الوقت المهم صحة  
حضرتك.

= متشكر يا مروة.

وقبل أن تتوجه إلى الخارج قلت لها..

= مروة بعد إذنك كان في شوية كتب في المكتبة تحت  
ممکن بعد إذنك تجيبهم معاكي.

- حاضر يا أستاذ محمود

- .. أه نسيت أبْلغ حضرتك، الأستاذ إسلام طلب مني  
أبْلغ حضرتك إنه هيروح مشوار وبعد كده هيرجع  
يطمنن عليك.

= ماشي يا مروة متشكر جداً لك.

مرت الأيام على تلك الحالة وأنا أقرأ في كتب القانون وكتب  
الجرائم البوليسية وغيرها حتى أُصبت بالملل مما أنا عليه فقررت  
أن أعود إلى عملي من جديد.

..وكانت أول قضية لي بعد عودتي بأسبوع قضية عم عبده  
صاحب متجر (سوبرماركت) بجوار المنزل..

القضية كانت عبارة عن خلاف بينه وبين المالك الأصلي  
للمتجر، وكان المالك يمتلك أوراقاً تثبت بأن المتجر ملكه ولم يتم  
بيعه إلى عم عبده..

ولكن أيضاً عم عبده كان يمتلك أوراقاً تثبت ملكيته للمتجر  
ذاته وقد أفاد بأنه قد قام بشراءه من شخص يدعى محروس وكانت  
هناك أوراقا تثبت الملكية وذلك المدعوا محروس قد قام بشراءه  
من شخص آخر ببلدة ثانية..

كانت قصة بيع متسلسل حتى نصل الى صاحب المتجر الأول من يناشد بأنه لم يقم ببيعه..

وذهب الرجل صاحب المتجر برفع قضية إنه مازال صاحب المتجر واستطاع كسب القضية لأنه يمتلك ما يثبت صحة حديثه ومن ثم توجه عم عبده بعدما أصابته نوبة من الغضب فقام بكسر المتجر وجلس به بالقوة الجبرية وقام برفع دعوة قضائية تفيد بأحقية المكوث بالمتجر نظرا لما يثبت ملكيته له وأضاف الى ذلك شهادة شهود عيان بأنه يفتح المتجر منذ عدة سنوات

ومن ثم توجه بالطعن في حكم المالك الأول واتّهمه بالتزوير.. وظلت القضية تتوجه من والى المالك الأول وعم عبده لمدة سنتان حتى علقت بين يدي وبعد أن اطلعت على ملف القضية توجهت مباشرة الى المالك الثاني الذي تم البيع له من المالك الأصلي الذي قد رفع القضية وهناك علمت بأنه مُتوفى..

..علمت بعد ذلك من أحد أبناءه أنه كان شاهدا على البيع للمتجر وأفاد بأن ابن المالك الأول للمتجر هو من قام بالبيع وكان والده موقعا على عقد البيع.

”يعني طلعت المشكلة من ابنه“

وهنا طلبت استدعاء الابن في المحكمة وأستدل بأقوله وقد  
قام بالاعتراف بأنه قام ببيع المتجر وأنه قد تحايل على والده  
بالإمضاء دون علمه بأنه يوقع على عقد بيع،،  
وربحت القضية..

وتلك كانت دفعة ثقة لجعلي أعود من جديد لمباشرة حياتي  
المسبقة كما عهدتها من قبل..

أصبحت محب أكثر لتلك القضايا الجنائية وخصوصاً التي  
بها تعقيدات ولكن أيضاً تعلمت أن لا أضغط على تفكيري كثيراً..  
مرت أسابيع، تليها أشهر حتى بدأت أن أنسى قضيتي مع نور  
ولكن ما حدث كان صدفة وكأنها دعوة من جديد إلى الماضي  
فشاءت الأقدار أن أبحث بين أوراقى القديمة فتقع بين يدي تلك  
القضية،  
قضية فاطمة!..

بدأت في قراءة تلك الأوراق من جديد وكلما قرأتها أكثر  
ذاد بداخلي الثأر لما حدث لها وأني قد أهدرت حقها حتى وقعت  
عيناى على تلك الجملة..  
وكم من مال جعل مالكة ذنباً فبلغت به المساوى حتى قتل  
وهتك عرضاً!

هنا تذكرت تماما تلك الليلة ومشهد نور الذي كنت تمنيت  
عدم ذكره مرة أخرى..

ألقيت بالأوراق فُبِعِثرت في أرجاء الغرفة وأنا أحاول أن  
أتمالك قدرتي على التركيز وإبعاد التفكير العميق عن مخيلتي  
ولكن!!  
رأيتها..

- نور..!

تنظر إلي وهي تقف عند باب الغرفة وتبتسم وأشار بيدها  
على الأوراق المبعثرة على الأرض على ورقة منهم وهي التي ذكرت  
بها تلك الجملة، فأدركت مبتغاها!

ثم ذهبت إلى خارج الغرفة ببطء شديد

تحركت خلفها وأنا لا أصدق أنها هي حقاً!!

لا أعلم كيف أراها الآن وأنا لست غافي.. كيف تتجول في  
الأرجاء بداخل واقعي وأراها!

لم أبالي لتلك العرائل المبهمة وتوجهت خلفها الى خارج  
غرفتي فرأيتها تتجه الى الخارج فهلعت خلفها مباشرة حتى رأيتها  
تذهب إلى الأسفل

ذهبت مسرعاً خلفها ولكنني فجأة لم أجدها لقد اختفت من  
أمام عيني..

تبا، إنها أوهام عقلي من جديد..

سرعان ما توجهت إلى الأعلى من جديد ثم زادني فضولاً أن  
أبحث عن ما حدث مع نور فاتصلت بصديق الدراسة خالد صديقي  
أيام الصغر والآن أصبح وكيل نيابة..

- الو، ازيك يا خالد باشا أخبار حضرتك إيه؟
- أهلاً، ازيك يا محمود عاش من سمع صوتك أنا  
عرفت بالقضية بتاعت تاجر المخدرات اللي قالبة  
الدنيا وإنّ طلّعت منها براءة
- هاهاها هو طلع براءة لأنه كان فعلاً بريء وطلعت  
الدلائل كلها مزورة
- أيوة أيوة منا عرفت بس الحمد لله إنك عرفت تجيب  
براءته
- المهم إنت أخبارك إيه يا باشا؟
- أنا في خير حال، أه صحيح كنت هنسى!
- إيه خير؟!
- يوم الأربعاء يا وحش عيد ميلاد لبني بنتي وإنّ لازم  
تيجي
- كل سنة والأمورة بخير، حاضر أكيد هحضر وهجيبها  
هدية جميلة كمان
- هاهاها يااه بقالنا قد إيه متقابلناش يا رجل والله  
وحشّتي أيام زمان
- والله وأنا كمان وحشّتي الأيام دي على الأقل مكانش  
في هم ولا مسئولية ولا حتى كان بيهمنا أي شيء، هدية  
صغيرة كانت كفيلة إنها تخلينا أسعد ناس في الكون  
وكلمة حلوة كانت بتزيل أي حزن ساكن فوق ملامحنا

- إيه يا عم مالك قلبتها دراما حزائني كده ليه! هاهاها  
المهم مقولتليش صح، إيه سبب الاتصال ده؟  
- بصراحة كان في موضوع كده كنت عاوزك فيه!  
- خير موضوع إيه؟  
- لا لا مش هينفع في التلفون  
- خلاص هستناك بكرة تعدي عليًا الساعة...  
- لا خليها بالمرة يوم عيد الميلاد الموضوع مش  
مستعجل يعني ولا حاجة  
- خلاص أوك زي ما تحب يا محمود  
بعد أن أنهيت المكالمة ذهبت إلى غرفتي التي قد امتلأت  
بالأوراق ولكن حدث أمر عجيب آخر..!  
ما هذا!!  
أين أوراقي التي تناثرت بأرجاء غرفتي..؟  
وما جعلني أقف ثابتا دون حراك أني وجدت أوراقا فوق  
مكتبي في تناسق موضعها الأول.  
توجهت مسرعا إلى أمي لأقوم بسؤالها هل كانت هي من فعلت  
ذلك أم لا ولكني وجدتها نائمة وسرعان ما أدركت أن تلك كانت  
من فعل عقلي المريض..  
ذهبت إلى الغرفة من جديد ثم أخذت أدويتي وجلست على  
مكتبي واضعاً رأسي بين راحتي يدي أفكر ويدور في ذاكرتي سؤال  
واحد فقط..، ماذا حدث لنور وأين هي!؟

هل حقاً ماتت! أم أنها ما تزال حية في مكان ما؟  
وسرعان ما عالجت تلك الكلمات ذاكرتي لتذكرني بحدِيثي  
مع جَدِّ إسلام!!  
إنه بالتأكيْد يعلم مكان نور أو على الأقل مكان والدة نور التي  
رحلت من هنا بعد حادثة نور..

وقبل أن أكمل ما يدور في عقلي من صراعات رأيت خيالاً  
رأسه ممتدة أسفل رأسي أراه أسفل مكثبي فعلمت أن هناك من  
يقف أمامي فسرعان ما نظرت فوجدتها من جديد..  
نور تقف أمامي مبتسمة ولكن كيف، لقد رأيت لها ظلاً! إذًا  
فإنها حقاً هي!

لا بالتأكيْد عقلي قد خدعني مرة أخرى بالتأكيْد من خدعني  
برؤيتها قادر على جعلي أرى لها ظلاً أشحت بنظري إلى الأسفل مرة  
أخرى فإذا بالأرض تتحرك وتدور أمامي ثم أصبحت مثل الضباب  
كل شيء أراه مبهم تماماً أرى كل شيء حولي غير مكتمل المنظر  
كله مشوش حتى أغلقت عيني فذهبت في نوم عميق..

أستيقظ من جديد فأجدني بداخل المحكِّمة!

- ماذا؟! ما الذي أتى بي إلى هنا؟!

- اتفضل يا أستاذ محمود قضية حضرتك هيْتِنده عليها

دلوقتي.

- قضية! قضية إيه؟

ثم سمعت صوت الحاجب يردد من الداخل، قضية رقم ٢٩٦ جنایات..

- اتفضل يا أستاذ محمود مفيش وقت  
ثم أدخلني إلى القاعة، ولكنها مختلفة عن أي قاعة رأيتها  
لقد رأيت كل من فيها يلبسون الملابس السوداء حتى من كان  
في قفص الاتهام يلبس الأسود وليس الأبيض! ما هذا!! إن قفص  
الاتهام على غير عادته إنه ليس بقفص حتى إنها قريبة إلى مكان  
لمجلس واحد من دون حراسة أو أي شيء فقط كرسي خلف باب  
دخول قصير لا يوجد به أي قضبان مجرد باب للولوج إلى الصف  
الأول.

ثم أتى الصوت من جديد..

- السيد محروس خليل عبد الهادي المتهم بقتل السيدة  
فاطمة محمد ياسين..

- المدَّعي يتفضل..

- المدَّعي يتفضل!!

- يا أستاذ محمود مش حضرتك اللي رافع القضية  
والوكيل للمجني عليها وحضرتك محامي الادِّعاء!؟

- بعذر لسيادتك يا سيادة الرئيس فقط إنني متعب  
بعض الشيء.

- اعتذارك مقبول اتفضل بقى خيلنا نخلص..

- سيادة الرئيس، حضرات المستشارين، السادة  
الحضور..

ما هذا! لا أعلم ماذا سأقول ولكن نظرة الحضور جعلتني حقاً  
أرتجف من داخلي فجميعهم ينظرون إليّ ببُغض شديد ماذا يحدث  
ولماذا يكرهونني إلى تلك الدرجة..

- بعد الاستماع إلى الشهود وإلى مرافعة الادعاء قررنا  
الإفراج عن المتهم وإحالة أوراق المدعي إلى مفتي  
الديار!!!

- إيه!! أنا!! ليه؟! إيه اللي حصل!!

- حضرتك مُتهم بقتل السيدة فاطمة محمد ياسين  
عمداً مع سبق الإصرار والترصد كما تبين من الأدلة  
والإثباتات بأنك قتلتها، قتلتها، قتلتها!!!

أستيقظ من نومي ممدداً بجوار مكثبي ومن حولي تناثرت  
الأوراق التي كنت قد ألقيتها من قبل ثم تدق الساعة السابعة  
صباحاً..

توجهت مباشرة إلى المستشفى لمقابلة الدكتور حسام..

- إيه يا محمود قالولي إنك هنا من بدري خير في حاجة?!

- أيوة يا دكتور، أنا بيحصلني حاجات غريبة بشوف

حاجات مبتحصلش وبسمع حاجات مش موجودة  
وبشوف ناس ماتت..

- ده طبيعي جداً في حالتك يا محمود..

- طبيعي! ازاي يا دكتور ولو كان طبيعي أنا بقالي شهر  
باخذ أدوية والموضوع مبيروحش بالعكس دا بيزيد أنا  
مبقتش قادر أعيش حياتي بشكل طبيعي
- بص يا محمود، إنت حالتك نادرة جداً وده موضوع  
الدكتوراه اللي بحضرها إنت مش بس حالتك نادرة لا  
ده إنت حالتك أكثر من نادرة تقدر تقول كده إنت (ن  
١) في الطب يعني رجل المستحيل في الحالات اللي  
بتحصل هاهاها.
- أرجوك يا دكتور خد الموضوع بجدية شوية أنا بقولك  
إني بمووووت
- إنت بتشوف حاجات وبتسمع حاجات مش موجودة  
وده طبيعي جداً لحد عنده اسكيز ما بالك بواحد عنده  
خلل في الفص الصدغي!
- طب والعلاج يا دكتور اللي مش بيعمل حاجة؟!
- العلاج بيسبب نعاس شديد وده اللي بيخليك تحس  
بان كل شيء حواليك ضبابي شوية ويمكن ده تفسير  
اللي بتفتكر إنك شوفته حاجة عادية يعني
- بعد أن أنتهيت من حديثي مع الدكتور حسام توجهت إلى  
منزلي مُجدداً ولكن تدور بمخيلتي نقطة البداية، وهي ما حدث في  
ذلك الحلم حين كانت تُغتصب نور! ولكنني قد عاهدت والدتي بأن

لا أتفاعل وأضغط فوق عقلي فأسقط من جديد ويعاد كل شيء من جديد، الآن باتت حياتي شبه مستقرة وعليّ الحفاظ على ذلك.. اتجهت مباشرة إلى المنزل ثم لاحظت أثناء صعودي الدرج أن هناك أحداً يتحرك في الأسفل في البهو الذي لم ندخله أبداً منذ أن انتقلنا إلى ذلك المنزل وذلك كان بسبب تشديد صاحب المنزل بأن أشياءه يحتفظ بها بالأسفل وأيضاً قد وضع باباً حتى لا يستطيع أحداً الولوج إلى داخله ولكن الآن أسمع صوت أحدهم بالأسفل، هل أتى صاحب المنزل؟! أم ماذا؟!

توجهت إلى الباب الموصد فوجدته مازال على حالته مغلق تماماً فصحت بإسمه...

- عم محمد! ياعم محمد هو حضرتك موجود؟!!!

- لكن لم يأتني رد..

- حسنا لعلّي تخيلت ذلك..

هنا وحدث أغرب شيء..

لقد فُتح الباب أثناء صعودي فألقيت نظرة عن كُتب على من فتحه ولكني لم أجد أحداً..

فتحت الباب على مصراعيه ثم صحت من جديد..

- عم محمد، ياعم محمد حضرتك موجود؟

انتابني شعور بأن هناك من يختبئ بالداخل فقررت النزول إلى الأسفل..

أثناء نزولي الدرج وجدت شاباً عنكبوتية دليلاً على عدم وجود أي أحداً قد مر من خلالها فكيف فتح الباب!!  
انتابني القلق فتوجهت إلى الأعلى من جديد ثم أغلقت الباب خلفي عنوة..

في اليوم التالي كان لقائي مع خالد..  
ذهبت إلى متجر يباع به الألعاب لأشتري هدية لابنته فذلك عيد مولدها ثم توجهت إلى منزله وبعد أن التقينا وبعد أداء التحية والتهنئة بالمولد السعيد وتقديم الهدية وإطفاء الشموع أخذني خالد إلى مكتبه لنستطيع التحدث..

- ها يا سيدي كنت عايز تتكلم في إيه؟
- بص يا خالد، الموضوع تقدر تقول عليه غريب وتقدر تقول عني مجنون بس اعتبره رجاء خاص..
- إيه كل الكلام الكبير ده اطلب يا محمود بدون مقدمات أنا عارف إنك ذكي وعارف إنك لما بتحط حاجة في دماغك بتكون صحيحة بدرجة كبيرة، إنت ناسي ولا إيه ده احنا عشرة طفولة..
- الموضوع اللي كنت محتاجك فيه قضية..
- قضية! طب تمام قضية إيه؟
- قضية قتل..
- قتل! طيب وإنت مع المتهم فيها وحاسس إنه مقتلش وعايز تثبت براءته؟

- لا الموضوع غير كده خالص، أولاً أنا معرفش القاتل.
- يعني عايز أساعدك في التحقيق؛ تمام مين القاتل أو القتيلة؟
- هو أنا مش متأكد إنها قتيلة حتى الآن؛ يعني مفيش إثبات لجريمة القتل، ولا في قاتل، ولا في جريمة، وكمان القضية دي بقالها أكثر من عشر سنين..
- طيب وإنّ طالب مني أعمل إيه يعني أروح أقتلك القتيلة مثلاً وأجيب حد أحبسه والأ إنت عايزني أمشي أدلل في الشارع على جريمة قتل والأ عايز إيه!!
- مش بقولك من أول كلامي إنك هتفتكرني مجنون..
- يعني إنت بتقولي إن في جريمة حصلت مع العلم إنك متعرفش الجاني وكمان مش متأكد إن فيه مجني عليها وكمان بتقولي إن الموضوع ده من عشر سنين وتقولي أفتكرك مجنون لا دا إنت سيد العاقلين..
- بص يا خالد افهمني كويس، في قضية زمان لاختفاء بنت كانت مقيمة في نفس العنوان اللي أنا فيه دلوقتي والبنّت دي اختفت ومالهّاش أي أثر وأنا شاكك إنها اتقتلت لأنها اختفت بعد قتل خطيبها بيوم واحد ودي كل المعلومات اللي عندي حالياً ومحتاج منك تدورلي على ملف القضية دي ولو تقدر تخدمني في عنوان والدتها..

- فعلاً موضوع غريب جداً، طب وإنّ البنت دي  
تخصك في إيه!؟
- تقدر تقول كده كانت صديقة..
- أأاه تمام خلاص هشوف كده هقدر أعمل إيه  
وأكلمك..
- أنا متشكر جداً ليك يا خالد ولو قدرت توصل لحاجة  
تبقى خدمتني بجد..
- طيب يلاً بقى نلحق ناكل تورتة ده زمانهم نسفوها  
ههههه

بعد انتهاء اليوم توجهت إلى المنزل من جديد ولكن عند  
دخولي المنزل وجدت ذلك الباب مفتوحاً على مصراعيه وفي  
الأسفل ضوء بسيط أستطيع رؤيته ولكن ليس بالقدر الكافي، هنا  
تأكدت أن هناك من هو بالأسفل فتوجهت مباشرة نحو الأسفل دون  
انتباهي لوجود تلك الشبكات العنكبوتية ولكن عندما اقتربت من  
الأسفل وجدت دخاناً كثيفاً قد انتشر بالأرضية فأسرعت بالنزول  
ولكن فور وصولي إلى الأسفل سقطت في بئر كبير أصبح يأخذني  
إلى الأسفل دون نهاية رحلة دامت لساعات طويلة وأنا أسقط ولا  
أجد لها تفسيراً..

أثناء سقوطي رأيت عوالم مختلفة وأشياء غريبة في بعض  
الأحيان يصبح المكان حولي مضاءً بشدة وأحياناً أخرى ممطرة  
وتأتي المياه على وجهي وأحياناً أخرى تكون حمراء كالبحيم ثم

أخيراً لامست الأرض والأغرب أنني مازلت بجوار الدرج حينها  
أدركت أنها من أفعال عقلي اللعين...

لاحظت بذلك المكان الإضاءة وجدت شمعة متواجدة  
فوق منضدة مليئة بالأتربة والشباك العنكبوتية وحين اقترابي من  
المنضدة وجدت أنه حُفر عليها بألة حادة ثلاثة أحرف (ن و ر)  
نور!!!

ثم فجأة شعرت برعشة تملكتني وكأنه هواء قد مر من خلالي  
ثم لاحظت حركة من خلفي فأشحتُ بنظري إلى الخلف بسرعة  
فلم أجد سوى مزهرية حالتها مزرية للغاية وقد بنى العنكبوت عشه  
فوقها، لوهلة ايقنت بأنه هناك أمر ما فتلك المزهرية لم لاحظها  
ببداية نزولي الى هنا..!

ثم انطفأت الشمعة وذلك جعلني هلعت خوفاً فصعدت على  
الفور إلى الأعلى وأغلقت خلفي الباب مجدداً..  
بعد مرور أسبوعين وردني اتصال من خالد أنه قد وجد ملف  
القضية فذهبت إليه على الفور..

داخل قسم الشرطة توجهت مباشرة إلى مكتبه وبعد أن أذن لي  
بالدخول..

- محمود افضل..
- ها طمّني إيه الأخبار؟
- ياااه للدرجة دي تهملك أوي القضية دي!
- أكثر مما تتصور

- طيب أنا مش عايز أحبطك بس القضية دي فيها  
بيانات بسيطة والمفروض إنها متقاش قضية بس أنا  
قدرت أجييلك حاجة يمكن تكون ليها علاقة بالقضية  
وممكن تنفعك..

- حاجة إيه؟!!

- إنت قولتلي إن البنت دي كانت مخطوبة لشاب واتقتل  
قبل الاختفاء ده بيوم صح!

- أيوة كان اسمه نديم..

- نديم جابر سلام!

- أيوة هو ده اسمه..

- طيب في الأول عايز أوضحلك حاجة، نديم كان  
متهم بجريمة قتل وبعد ما اترفعت قضية ضده اختفى  
ومَظهرش إلا بعد أسبوع لقيوه مقتول على الطريق  
وطبعاً طبقاً للأحداث كده ميعتبرش في جريمة قتل  
لأن مترفعتش أي قضية أو إتهام واحد ضد أي أحد  
وكمان ده قاتل قُتل يعني حتى لو كان اتوجد القاتل  
ده كان هيتسجن بالكثير عشر سنين يعني تقدر تقول  
إن مفيش قضية عشان كده ملف القضية اتحفظ لأن  
الجاني مات اللي هو نديم..

أما ملف البنت دي مفيهوش تفاصيل كثير غير إنها كانت عاملة محضر باختفاء خطيبها وكانت بتتهم شخصية معروفة في الاختفاء ده وطبعاً لما اتحولت لقضية كان المفروض إنها تحضر في المحكمة للإدلاء بشهادتها لكن البنت مظهرتش وده كان بعد إيجاد جثة نديم بيوم واحد وبكده اترفضت الدعوة واتحفظت القضية وعامةً الملف ده فيه كل التفاصيل دي أنا كان نفسي أساعدك وأفيدك بس مافيش أي بيانات تانية ومنتساش إن الموضوع مَر عليه عشر سنين أنا بقالي أسبوعين بدور في الملفات على البيانات دي..

- أنا متشكر جداً ليك يا خالد تعبتك..
- متشكرنيش إلا لما أقدر أخدمك بجد..
- طيب كان في طلب تاني، متقدرش تجمعلي بيانات المكان اللي أم البنت ساكنة فيه دلوقتي هي عزّلت من البيت ده تقريباً كده بعد الحادث ده مباشرة..
- طيب إديني ٤٨ ساعة وأكون جمعتك مكانها لو كانت لسة عايشة..

- يارب تكون عايشة أكيد عندها حل للألغاز دي بعد أن انتهت مقابلتنا توجهت إلى منزل إسلام لمقابلة جدّه لأخذ بعض التفاصيل لعله يعلم مكان والدة نور وعند وصولي للمنزل لم أجد أحداً به حاولت الاتصال به عدة مرات ولكن دون جدوى هاتفه مغلق انتابني شعور بالقلق حينها لقد مر أكثر من

شهر كامل دون أن أحادثه والآن لا أستطيع الوصول إليه حاولت أن أستفسر عن مكانهم من أي جار لهم فكانت كلماتهم كالصاعقة لي..

لقد تعب الجَد ونُقل للمشفى منذ أسبوع وهم ملازمين له هناك..

توجهت إلى المشفى ولكن قد فات الأوان لقد انتقل إلى رحمة الله الجد قبل وصولي بعدة دقائق فقط..

امتلكني شعور بالأسى حقاً تجاه ذلك لقد كان الجد هو الخيط الواصل بين نور ووالدتها والقضية كلها وأيضاً تملكني الحزن لفراقه لقد كان رجلاً عظيماً..

وبعد إتمام مراسم الدفن توجه الجميع إلى منازلهم لترتيب العزاء لكن لم يذهب إسلام فقط اكتفى بالجلوس أمام قبره والبكاء ولكن لا أستطع أن أتركه وأرحل فجلست أراقبه من بعيد لإعطائه مساحته الكافية للانفراد بمشاعره تجاه جده فقد كان هو من قام بتربيته وكان أكثر شخص مقرب له، عذراً يا صديقي ليتني أستطيع أن أنسيك ذلك!.

وبعد أن مر الوقت ذهبت إليه لمواساته فيما آل له..

- البقاء لله يا صاحبي مفيش حد دايم فيها،
  - عارف إن أنا يعتبر أكثر واحد خسران في الموضوع ده
- يمكن كمان أكثر منك شخصياً!؟

بعلامات ذهول ملئت وجهه..

- يعني إيه مش فاهم؟
- جدك الله يرحمه أنا قعدت معاه مرة واحدة وخالاني أقدر أفتحله قلبي وأحكيه كل اللي جوايا يعني تقدر تقول كنت أخيراً لقيت أبويا من تاني لقيت اللي يقدر يحس باللي جوايا وكمان كان هو أملي الوحيد في بقيت حياتي صدقتني دلوقتي لما أقولك إني خسران أكثر منك!
- أملك! أملك في إيه يا محمود؟
- مبقتش تفرق يا صاحبي خلاص.. هستاؤذك أقرأ الفاتحة لأبويا..
- تركته ثم توجهت بضع أمتار إلى الأمام فقبّر والدي كان بقرب قبر جد إسلام وبعد أن قرأت الفاتحة له والدعاء أتى خلفي إسلام...
- محمود ممكن أسألك سؤال؟
- اتفضل!
- إنت ليه دائماً غامض ومبتحكيش لحد حاجة، حتى أنا لما كنت بسألك عن نور مكنتش بترضى تحكي لي أي شيء ليه؟
- هه، غريبة إنك تسألني السؤال ده هنا! تعرف أصلاً إن كل شيء بدأ هنا؟

- ازاي، ممكن تحكي لي؟
- بعد أن أخرجت زفيراً، حاضر يا إسلام هحكيك أنا أصلاً تعبت خلاص ومبقتش قادر أكتم ثاني وأتحمل ثاني، مبقتش حمل ضياع ثاني وموت حد ثاني حتى حق المسكينة دي خلاص مبقتش قادر أجيبه..
- الحكاية ابتدت يوم وفاة والدي..
- الو.، أيوة يا دكتور مصطفى.
- أستاذ محمود أنا أسف إنني ببلغ حضرتك الخبر ده لكن الوالد تعيش إنت..
- لا أعلم لماذا مجرد بضع كلمات من الممكن أن تجعلك سعيداً وأيضا يمكنها أن تجعلك تفقد شعورك بالحياة..
- يغمرنني شعور العجز وفقدان الأمل بالحياة كلها لم أدرك للوهلة الأولى أنني حقاً فقدته وأنني لن أراه مرة أخرى، لن أستمع إلى دقات قلبه حينما يزداد العالم سوءاً بي، لن آتي إليه مرة أخرى لأشكو له مرارة الحياة، لن أراه يفرح أو يحزن أو يتحدث مرة أخرى لقد تركني وحيداً...
- كانت تلك مرّتي الأولى التي أدرك حقيقة مرضي عندما فقدت اتزاني داخل العزاء ومن ثم فقدت الوعي..
- استيقظت بداخل المستشفى ومن حولي الجميع وعدة أجهزة متصلة بجسدي وطبيب يصيح مرددا اسمي قائلاً:
- حمداً لله على سلامتكم يا أستاذ محمود،

- كان ذلك هو الدكتور حسام..  
 أتمتم بصوت متهتك..
- الله يسلمك، أنا فين؟
- إنت في المستشفى يا أستاذ محمود للأسف حضرتك  
 تعبت فجأة وأغم عليك..
- إيه اللي حصل؟ وفين بابا!
- ممكن حضرتك ترتاح طيب يا أستاذ محمود دلوقتي  
 وبعدين نبقي نتكلم عن حالة حضرتك..
- الجميع ينظرون في شفقة لما أنا به بينما أنا لا أدرك حقيقة  
 الواقعة بعد، وهي أن أبي قد مات!!
- ماما، هو فين بابا مجاش ليه يطمن عليا هو لسة في  
 الشغل والّا إيه؟
- لم تتحدث بحرف واحد، فقط رأيت دموعها قد سالت  
 من عيناها وتركتني وذهبت مسرعة إلى الخارج حينها  
 قد تذكرت ما حدث..
- بعد أن تمكنت من القدرة على تمالك غضبي خرجت من  
 المستشفى مباشرة إلى المقابر لأقرأ الفاتحة على روحه ولأشكو له  
 ما بداخلي..
- زمان يا بابا كنت بتقولني إن أصعب شيء في الدنيا بيكسر  
 النبي آدم منّا هي الكرامة لكن مقولتليش إن الأصعب منها هو  
 الفراق! كنت دايماً بتنصحني؛

أبعد عن الشر وغنَّيله وبلاش تروح للمشاكل ونسيت تفهمني  
إن اللي يتعلق بحد ويسيبه هو ده اللي أبعد عنه، ماقولتليش ليه إن  
بُكرة غدار؟

أنا مش زعلان على فراقك يا بابا أنا بس زعلان إنِّي لسة  
مشبعثش من وجودك، الله يرحمك..

جلست بجوار القبر أبكي ويتخللني الآسى فيزداد لهيب نوحى  
وخرير الدمع يكسوني..

ولكن كيف تتركني وحدي يا أبتي وأنت العقل والقلب  
ودمائي داخل عروقي..

ذهبت وتركت لي آلمي وعباءة الحب قد سقطت على أرض  
تعاديني..

ثم نظرت أمامي فوجدت فتاة تقف أمام قبر تبكي وحدها  
وكأن العالم أجمع قد تركها؛ حتى تساقطت قطرات المطر ولكنها  
لم تتحرك من مكانها فقط جلست بجوار القبر بمكانها فشعرت  
بأنها قد يزداد بها الأمر سوءاً فأسرعان ما توجهت إليها بسترتي  
ووضعتها على كتفيها، لم تنظر إليّ فتركتها في حزنها وذهبت إلى  
منزلي.

بعد ساعتين قد غلبني النعاس فأنا أريد الهرب من الواقع  
الأليم لعلمي أجد أبي داخل أحلامي، ولكن ما وجدته بأحلامي  
هي تلك الفتاة التي تركتها وحدها ثم شعرت بالعار لما فعلت لقد  
تركتها ولعلها تفعل بنفسها مكروه عليّ أن أتوجه إلى المقبرة في

الحال لعلّي ألحق بها ولكن كيف سألحق بها وقد مر ساعتان منذ أن تركتها حسناً لعلّي أجد لها عنواناً أو أي شيء..

وتوجهت من جديد إلى المقابر وهنا صدمت، لقد كانت بمكانها كما تركتها دون حراك ولم يأتني لها أحداً حتى لينظر في الأمر أو لماذا لم تعد إلى منزلها فهلعت إليها لعلّها قد قتلت نفسها ولكن عندما اقتربت منها علمت أنها ما تزال حية حمداً لله ولكنها ما تزال تبكي فجلست بجوارها دون أن أتحدث حتى غلبني النعاس...

- محمود، محمود..

- بابا!

- إيه، افكرتني مُت والّا إيه؟

- بابا، إنت عايش؟، يعني كانوا بيكذبوا عليّا كلهم؟

يعني إنت مسبتنيش!!

- ومين قالك إنهم كذابين! وكمان مين اللي قالك إنّي

سييتك!!

- يعني إيه!! يعني إنت عايش والّا لأ؟!

- بص يا محمود السؤال ده تقدر تجاوب عليه بنفسك،

مممكن تجاوب بياني سييتك وبعدت عنك واختفيت

من حياتك ومُت، وممكن تجاوب بياني لسة موجود

وعايش..

- ازاي يا بابا أنا مش فاهم، يعني عايش والّا لأ؟

- يا بني أنا هفضل عايش بيك بنفسك بذكرك ليًا يا بني  
أشوفك ناجح أشوفك فرحان أشوفك بتحلم وتحقق  
حلمك، مافيش حاجة اسمها حد ساب حد لما يموت،  
الموت مش النهاية؛ النهاية الوحيدة في الكون كله لما  
كل البشر يموت وحتى دي مش هتبقى نهاية، الإنسان  
في الدنيا دي ذكرى جميلة جوة قلوب الناس وأنا  
لسة جواك في قلبك وعقلك وروحك لسة فاكركني  
وفاكر كل لحظة جميلة عشناها سوا، فاكر لما كنت  
في مدرستك وجيتني بتعيط ولما سألتك مالك سيبتني  
وطلعت تجري على أوضتك وقفلت على نفسك دي  
كانت المرة الوحيدة اللي حسيت فيها إني ميت لأني  
ساعتها حسيت إني مش قادر أفهمك ولا عارف إنت  
ليه سبتني وحتى معرفتنيش إيه اللي فيك، مقدرتش  
ساعتها أفهم إنت بتحس بإيه، بس بعدها لما نزلتلي  
تاني تجري واترميت في حضني حسيت إني لسة عايش  
لما حسيت بدقة قلبك بين حضني زي ما حاسسها  
دلوقتي.. كل ما هتحتاجني هتلاقيني في قلبك، فهمت  
يا محمود..

- فهمت يا بابا، بس أنا مش قادر أصدق إنني خلاص  
مش هشوفك تاني..

- وقت ما تكون عايز تشوفني مش محتاج غير إنك  
تغمض عيونك وتسمع قلبك وبس، مش لازم الواحد  
يكون جسد قدام الشخص علشان يحس بيه أو يطمئن  
إنه معاه الأهم إنه يكون ساكن جواه، يشوفه بروحه  
مش بجسده!

دلوقتي قوم واحلم وحقق أحلامك بص قدامك وشوف حياتك  
وأنا ساعتها بس هفضل عايش في قلبك..

هنا شعرت بحرارة على وجهي ففتحت عيني فرأيت أن النهار  
قد بزغ والشمس أصبحت فوقني فتذكرت الفتاة فنظرت في لهفة  
بجواربي فرأيتها ما تزال بمكانها..

كانت نائمة بملابسها السوداء اللامعة، تلبس قبعة منسدل من  
أعلاها وشاح يغطي وجهها وكأنها من أيام الثمانينات فحاولت  
أن أنبئها ببزوغ الشمس ولكن قبل أن أحدثها كانت قد أفاقت من  
نفسها، تتأوه بصوت عذب من تلك النومة..

- إيه ده أنا فين؟

- حضرتك في المقابر يا فندم!

هنا أحسّت بوجودي فارتبكت وشعرت بالخوف..

- مقابر إيه! إنت مين، واقف هنا ليه! إنت عفريت؟

- عفريت! وهو في عفريت بيطلع بالنهار يا أستاذة، أنا

لقيت حضرتك هنا من امبارح ومن غبائي قعدت هنا

في المقابر طول الليل لحد ما نمت أنا كمان..

- يعني احنا نمنا هنا طول الليل في المقابر!!؟  
- ممكن قبل ما تستفسري تفهميني الأول حضرتك مين  
وازاى مفيش حد سأل عليكى لحد دلوقتي؟  
- أنا نور، ومفيش حد يسأل، أخر حد كان معايا خلاص  
مات..

- يعني إنتِ مقطوعة من شجرة يعني؟! طيب فين أهلك؟!  
عايشة فين؟! مكانك، حياتك، بيتك  
- أنا! أنا، أنا متشكرة جداً على اهتمام حضرتك اتفضل  
ده أكيد الجاكت بتاعك..

بعد أن أعطتني إياه قد هبت عاصفة وكأنها قصدت ذلك  
لتجعلني أرى مخلوقاً ليس من أهل الأرض مطلقاً، فتاة في العقد  
العشرين من عمرها أو أقل شعرها أملس كالحرير لونه أسود، وجهها  
مستدير كالصدر، في الليل قد تبدو حقاً كالقمر في سماه تضيء  
ما حولها من شدة بياض وجهها الجميل عيناها لونها يميل إلى  
البنّي كفراشة حلقت في عنان السماء فتوقفت على وجهها أنفها  
لن يستطع دافنشي حتى رسمها كقطعة من السحاب قد رسمت  
رسماً على وجهها، شفيتها كأمواج بحر قد تالأأت في لمعة الشمس  
وتنشد أعذب ألحان حقاً لا يمكن أن تكون من أهل الأرض إنها  
ملاك..

لم أستطيع أن أتحدث فكلّماتي قد سُرقت من حلقي وعياني  
قد تجمدت في عينيها وجسدي قد شُلّت حرّكته تماماً، أتحدث  
معها بألف كلمة ولكن لا تخرج من فمي الكلمات حتى أنها قد  
سارت من أمامي ولكني لم أكن في المكان أبداً، لقد كنت بداخل  
عيناها..

بعد أن نظرت حولي ولم أجدها توجهت إلى منزلي وأنا أتذكر  
وجهها الجميل تلك الملامح التي عجز عقلي عن ترجمتها سبحان  
من أبدع في تصويرها فأخذت مذكراتي وبدأت في رسمها كي لا  
تبتعد عن ناظري أبداً لم أعلم وقتها ما هو الحب وكانت تلك أول  
مرة أتعرّف عليه شخصياً، إنه الحب يا سادة..

في اليوم التالي كنت خائف أن يكون كل ذلك حلم فأخذت  
مذكرتي ونظرت بداخلها فرأيت وجهها البديع ومن ثم خرجت  
مسرعاً كالطفل حينما يفرح، ثم قبلت والدتي وخرجت لم أعلم  
إلى أين أذهب فقط أطلقت العنان إلى قدمي لتأخذني إلى أي مكان  
تريده حتى أن قدمي شعرت بفرحتي فأخذتني إلى شاطئ كنت في  
صغري أتوجه إليه كي أذاكر دروسي تحت تلك الشجرة التي كان  
زرعها والدي بجانب الشاطئ..

منظر رائع وخلاب أن ترى المياه أمامك في الصباح الباكر  
والشمس تشرق بالضياء والطيور تُغرد من حولك فتوجه إلى ظل  
الشجرة وتجلس تحت أفرعها وسط أوراقها المتناثرة لتنشد عزف

دقيق وتتذكر وجهها فوق المياه فتبدأ في سرد حكاية عشق يرويها  
الطير من حولك، حقاً إنها ملاك على الأرض وليست بشراً!  
بعد مرور ساعة تقريباً قررت العودة إلى المنزل ولكنني فوجئت  
بأنها أمامي!!!

رأيتها بجوار الشاطئ تجلس وحيدة كما عهدتها من قبل،  
انتابني شعور بالفرح يغمرني فتوجهت إليها مبتهجاً وعلامات  
السرور على وجهي ولكن سرعان ما تبذلت تلك الملامح حين  
رأيتها تبكي!

حاولت العودة دون أن تشعر أنني خلفها مباشرة حتى لا أكون  
متطفلاً ولكنها قد رأنتي فالتفت بوجهها بعيداً كي تسمح ما تبقى  
من قطرات الدمع على خديها ثم أردفت قائلة..

- لو أي حد مكاني كان هيقول إنك بتمشي ورايا..
- أنا آسف والله يا فندم دي مجرد صدفة أنا مقصدتش  
أتطفل على حضرتك أنا كنت قاعد هناك عند الشجرة  
وشوفتك صدفة وقلت ألقى التحية قبل مغادرتي..
- لا مفيش مشكلة ومنتأسفش محصلش حاجة..
- هو ممكن أسأل حضرتك سؤال؟
- اتفضل..
- هو ليه كل ما أشوف حضرتك ألاقكي بتبكي؟
- يمكن لأني معرفش غيره!

- غريبة أوي بجد الدنيا دي، دايماً نلاقي أول صاحب  
لينا هو البكاء ودايماً الفرح بيسافر بعيد ويهجرتنا..
- لا، مش الدنيا هي اللي غريبة الناس هما اللي أغرب  
حاجة فيها ولولاهم مش ممكن كنت هتلاقي البكاء  
أبدا هما سبب الدمع والحزن اللي خلانا نستغرب  
لأفعالها..
- بالمناسبة، أنا عرفت اسم حضرتك لكن حضرتك  
مدتنيش فرصة أقولك اسمي يا أستاذة نور..، أنا  
محمود..
- تشرفت بمعرفتك أستاذ محمود بس اعذرني مضطرة  
أمشي، سلام
- طيب هشوف حضرتك تاني؟!  
- خليها للصدفة..
- قالتها ثم ذهبت مسرعة من أمامي وكأنه هناك خطب  
ما بها، لا أعلم لماذا أشعر وكأنها لغز..
- هنا وتفاجئت حين رأيت دفتر مذكراتها ملقياً على الأرض في  
موقع جلوسها لقد سقط منها دون إدراكها، أخذته وتوجهت مسرعاً  
خلفها ولكني لم ألحق بها لقد ذهبت..
- ذهبتُ إلى منزلي وأنا في حيرة من أمري هل أقرأ تلك اليوميات  
أم لا؛ هل سأصبح متطفلاً أم ماذا، لا سأقرأه فقط لأعلم بمكانها  
حتى أوصلها إليها هذا ما بررته لنفسي أو ما أردته..

جلست في غرفتي وبدأت في القراءة....

اليوم ١٥ / ٤، أول هدية بابا جبّهالي، دفتر يوميات عليه وردة حطها فوق غلافه وخط فوقها دفاتر لحد ما نشفت وطبعت رحيقها في رسمة جميلة فوق الغلاف بالمياه ريحة الوردة وشكلها حبيبي في الدفتر وأنا فاهمة بابا كان يقصد إيه، كان قصده إنه يحبيني في الدفتر ده عشان أكتب فيه كل اللي جوايا ولما أكبر وأتجوّز يهديه لجوزي عشان يعرف أنا بحس بإيه ونفسي في إيه من غير ما أطلبه، ميعرفش إنّي مش هحب حد غيره وبس..

اليوم ٢٨ / ٩، عيد ميلادي، بابا النهاردة عمل تورتة بنفسه ورسم فوقها كمان قلب أحمر جميل وكتب اسمه واسمي جوة القلب وخط ١٤ شمعة حوالين القلب زي رسمته، النهاردة كان أجمل يوم في حياتي، ربنا ما يحرمني منك يا بابا..

اليوم ١٧ / ١١، ماما النهاردة حاولت تقابلني برة وبابا شافها وقامت خناقة بينهم أصل بابا وماما منفصلين من سنة وزعّلي جامد وأنا زعلت منه بس بعدها لقيته جاييلي الدبدوب البمبي اللي كان عاجبني عند عم زينهم وصالحني وأنا مَبقدرش أزعل من بابا خالص..

اليوم ١ / ١، النهاردة روحت مدرستي الجديدة واتعرفت على صاحبتني وفاء وعزمتني على عيد ميلادها وبابا جه معايا وكان عيد الميلاد جميل أوي وأنا فرحانة أوي إننا بقينا أصحاب أصل أنا مش ليا أصحاب..

اليوم ١٦ / ٤ النهاردة أسوأ يوم في حياتي، وفاء صاحبتى  
الوحيدة لقيوها ميتة في الشارع!!

اليوم ٢٥ / ٩ ماما النهاردة دخلوها المستشفى وفي غيابة..  
اليوم ٢٧ / ٣ النهاردة قررت أسيب المدرسة ومش هروح  
تاني مش قادرة أتخيل المكان من بعد ما وفاء ماتت

اليوم ٢٨ / ٩ اليوم عيد ميلادي كملت ١٧ سنة ومتقدملي  
عريس مش عاوزاه ولا بحبه وماما لسة في غيابة لسة مَفَقَش منها  
وبابا اتغير بمقاش بيحبني زي الأول، الدنيا كلها اتغيرت من حواليا  
مبقتش قادرة أعيش فيها تاني..

اليوم ٩ / ١٢ النهاردة آخر مرة هكتب في يومياتي تاني، آخر  
صفحة، وأخر حاجة ليا في الدنيا خلاص راحت كل شيء انتهى،  
بابا سابني لوحدي في الدنيا خلاص..!

في تلك الصفحة الأخيرة لاحظت إن منتصفها كان منكمشا  
فعلت أنه قد انكمش إثر تساقط المياه عليها ولكن في تلك  
الحالة إنها ليست مياه، إنه انهمار دموعها، لا أعلم لماذا هربت من  
عيني قطرة دم مع إلى تلك الصفحة تحديداً، هل لأننا نتشارك نفس  
المأساة أم ماذا!

طويت تلك اليوميات في صدري وغصت في النوم..

- لا يا طنط انا مش هقدر أصحّيه أحسن يخبطني بحاجة  
في وشي وهو نومه رخم..

أستيقظ على صوت ضجيج بالخارج وبعض الكلمات لم  
أميّزها جميعاً سوى تلك الجملة فعلت أن المتحدثون يقصدوني..  
فتحت باب الغرفة وخرجت فإذا فجأة، إنها نور! تقف بجوار  
أمي ويصنعون كيكاً عيد ميلاد في وسط الزينة المنسدلة من الأعلى  
والقصاصات الملونة المتساقطة على أرضية المنزل ثم تلتفت  
باتجاهي نور فتراني..

- أهو صحي من نفسه الحمد لله، هههههه..
- محمود يالآ إيدك معانا وعلقلنا البلاين دي في  
المروحة، أه كنت هنسى، إسلام بيقولك هيعدي عليك  
ياخدك الساعة ٩ عشان هتروحوا السينما قال عاملك  
مفاجأة وهتفرجوا على فيلم جديد هيعجبك..
- إنت مالك واقف متبل كده ما تتحرك شوية، أيوة أيوة  
فهتم لازم يعني أقولك الأول كل سنة وإنّ طيب  
حاضر يا سيدي كل سنة وإنّ معايا دائماً يا حبيبي..
- لم أفهم ما إن كان ذلك حلم أم أنني قد فقدت ذاكرتي  
وكيف نور تحبني! وعيد ميلاد من ذلك لأن عيد  
ميلادي مازال عليه ستة أشهر حتى يأتي وأن..، لم  
أكمل جملة حين التفت بجوراي فوجدت الروزنامة  
بتاريخ عيد ميلادي!!! كيف يحدث ذلك!؟

هل أنا في حلم!! مرت ساعات وأنا أحملق إلى سقفية غرفتي بعد أن عُدت إليها منتظراً استيقاظي من الحلم ولكن لم يحدث ذلك، إذا فإنه ليس حلماً!

أبحثُ بداخل مكتبي فأجد أوراقا بتواريخ حديثة عن ذلك اليوم الذي نمت به وأنا بخط يدي وصوراً نتشاركتها سوياً أنا ونور وبعضهم تشاركتها أُمي معنا، كيف يحدث ذلك!!؟

عقلي يأن من كثرة التفكير ولا أعلم ما أنا به، ثم وجدت صورة تجمعني أنا ونور وأُمي وإسلام ومن خلفنا الأصدقاء والأقارب ونور بجواري بساري الأفراح وكأنها خطوبتنا!!

ثم يفتح الباب عنوة وتدخل منه نور وتقبلني علي خدي وتقول، كل سنة وإنّ طيب يا حبيبي، وقبل أن أرد بكلمة واحدة عالجتني بضربة بكيس به مسحوقاً أبيض وتناثر ما بداخله في كل أرجاء الغرفة وهي تضحك وتهلّع إلى الخارج..

لا أعلم ما يحدث ولا أعلم كيف مرت تلك الأشهر سريعاً دون إدراكي بها ولكنني كنت أتمنى أن أكون في حلم وأيضاً النقيض فالآن أصبحت بجواري نور..

ذهبت إليهم في الخارج وأنا لا أعلم ماذا أفعل أو ماذا سأقول لهم هل أقول لهم أين أنا أو ماذا يحدث أم أقول لهم من أنتم وكيف أصبح كل شيء هكذا، هل أنا مريض أم أنكم تمزحون معي!

ولكن سرعان ما توقفت كل الأسئلة التي تدور في عقلي حين رأته نور ولاحظت ما أنا عليه من تشتت فأنت إليّ وعلى وجهها علامات الاستفهام..

- محمود، مالك في إيه؟

- نور أنا مش فاهم حاجة ولا عارف إيه حصل ولا حتى عارف إنتِ ازاي هنا أو أنا هنا ازاي كل ده معرفهوش ومش فاهمه أنا نمت وصحيت لقيت كل شيء حوالياً متغير ازاي مر الوقت بالسرعة دي، في ستة شهور عدت وأنا مش عارف عنهم أي حاجة..

- إنت بتقول إيه يا محمود!! ستة شهور ده كان وقت الحادث!

- حادث؟! حادث إيه؟!..!!

- إنت مش فاكر إيه حصل يا محمود!؟

- نور أنا تعبان بجد ومش فاهم أي حاجة من اللي موجودة قدامي دلوقتي أرجوكي ساعديني وفهميني إيه اللي حصل..

- حاضر يا محمود هحكملك..

من ستة أشهر كنا هنتقابل في مكاننا المعهود عند الشجرة اللي اتقابلنا عندها بعد كده كتير وخطبتني كمان عندها، في اليوم ده كنت المفروض هترجعلي المذكرات بتاعتي اللي وقعت مني في آخر لقاء لكن اللي حصل كان غير متوقع، كان في واحد من

السياسيين مهدد بالقتل في اليوم ده ولسوء الحظ كان هُيغْتِيل في المكان هناك اللي كنا هنتقابل فيه ووقت لقاءنا اشتغل ضرب النار في كل مكان جرينا كلنا مبقيناش عارفين نروح فين حتى صوت الرصاص أصبح زي المطر فوق رؤوسنا وانفجارات حصلت في بعض السيارات لكن إنت شوفتني مستخبية جنب صخرة كبيرة وكان من الناحية الثانية واحد من الإرهابيين بسلاح ساعتها حاولت تنقذ حياتي وجريت ناحيتي بس إنت اتصبت وقتها وبعدها بدقائق كانت الحكومة سيطرت على الموقف ونقلوك للمستشفى وانا كنت معاك، ساعتها قالوا إنك احتمال تموت بسبب فقدان كمية كبيرة جداً من الدماء وإن فصيلة دمك مش متوفرة في المستشفى في الوقت الراهن ومفيش حد متطوع يتبرع بالدم بسبب كمية الناس اللي كانت مُصابة ولحسن حظك إن كانت فصيلة دمي نفس فصيلتك واتبرعتك بالدم وبعدها بأسبوعين كانت حالتك شبه اتحسنت وبقيت فايق وواعي لكل شيء والدكاترة قالوا إنك هتبقى أحسن..

- واتصبت ازاي وفين أنا مش شايف أي أثر لِرصاص في جسمي!
- إنت مش شايف أي أثر لِرصاص في جسمك لأنك!!
- لأنني إيه يا نور؟
- لأنك اتصبت في دماغك مش في جسمك وده اللي كان بسببه الدكاترة قالوا إنك مش هتعيش، وإن دي معجزة

إنك تعيش تاني الرصاصة لحسن الحظ مصبتش مكان  
ميت في الدماغ يعني مصبتش منطقة المخ..  
أصابني حالة من الذهول وهلعت إلى المرأة لأنظر إلى وجهي  
وسرعان ما أصبت بالهلع والجنون حين رأيت آثار الإصابة في  
مقدمة رأسي حتى دارت بي الدنيا فسقطت طريحاً على الأرض  
ومن حولي صوت صرخات أمني وتليها صرخة نور، حتى أغمضت  
عيني دون وعي بأني قد أغشى علي..

الآن باتت معالم الأسي تملكني من معرفة كوني أعيش كما  
البقية أم أنني في دار الأموات لا أعلم هل حياتي تحولت إلى جحيم  
بسبب آلامي الغير متناهية أم أنها فرصة لمحيي فالآن أصبحت  
بجوارى نور التي تمنيت دوماً أن أجدها تمنيت أن تبقى طويلاً  
بجوارى أبحث عنها بشغف طفل يبحث عن أمه ليفيض حنانها  
فوقه، ترى هل ستكون حياتي بها أم ستنتهي حياتي من أجلها!

يدور في ذهني العديد والعديد من الكلمات التي أعجز عن  
نطقها أو حتى عن وصفها تداركت الحياة رويداً رويداً عن نبضاتي  
فهلعت روحي تستنجدني ولكني لست أحياء..

حينما استيقظت من جديد علمت أنه كان حلماً تمنيته يوماً،  
علمت أن كل ما مر بي كان وهماً تصنعه عقلي لئلقيني على طرقات  
الأمل ويجعلني أشدوا بترانيم الفرح من جديد ولكنه لم يكن يعلم  
أنني بالفعل قد فقدت نبضات قلبي فكيف أشعر من جديد؟!!

أنظر إلى صديقي إسلام الذي تشوبه تعابير الحزن وتكسوا  
عيناه الدموع ولكنني فقدت الشعور بعيني فقد ذبل جفني وتصخرت  
أدمعي، لا يرق قلبي ولا يدق، ولا تنبض روحي أبداً..

- هي دي الحكاية يا إسلام اللي مبكيهاش أبداً، هو  
ده اللي دائماً جوايا وهي دي نور اللي لسة بدور عليها  
ومش هرتاح إلا لما ألقاها..

- أيوة بس ازاي كانت حلم وازاي بتقول إنها موجودة  
وكمان ازاي جدي كان يعرف بيها إنت كده شتت  
تفكيرى؟

- كل الأسئلة دي إجابتها عند جدك الله يرحمه أو عند

...

- تقصد نور نفسها!!

- أيوة، هي الوحيدة اللي تقدر تجاوب على كل الأسئلة  
دي أنا لازم ألقاها، ساعدني يا إسلام إنت الوحيد  
دلوقتي اللي مصدقني والوحيد اللي حكيتله حكايتي  
مع نور!

- حاضر يا محمود والله لو أقدر أساعدك أكيد مش  
هتأخر بس قولي أساعدك ازاي بس!؟

- مفيش قدامنا غير طريقتين لازم نمشي فيهم، الأول إننا  
نلاقي الكتاب اللي فيه مذكرات ليها والثاني إننا نلاقي  
والدتها أكيد هتقدر تساعدنا..

- كتاب!! كتاب إيه يا محمود!؟
- كتاب بغلاف فضي مكتوب عليه السر ده كان قدمه نديم لُنور في عيد ميلادها وكانت بتسجل فيه مذكراتها وده كان قبل ما تختفي بفترة قصيرة بعد ما خطبها نديم..
- أيوة أنا شوفت كتاب بالوصف ده عند جدي من فترة كبيرة...!!
- أه جدك قالي عليه دي كانت النسخة بتاعة نديم مهو كان معاه هو كمان نسخة..
- لا أنا أقصد النسخة الثانية كانت مع جدي أنا شوفتها، النسخة بتاعة نديم دي كانت موجودة في المكتبة إنما أنا شوفته كان معاه نسخة تانية من نفس الكتاب ده!!
- إيه! إنت بتقول إيه!؟! طب ليه معرفنيش إنها كانت معاه ليه خبأ عليا وأنكر إنه يعرف عنها حاجة؟
- احنا لازم نلاقي النسخة دي بأي طريقة أكيد فيها سر جدك مش عايز حد يعرفه!
- طيب هنلاقيها ازاي وأصلاً جدي محدش يعرف بيروح فين أو بيخبي حاجته فين؟
- معرفش أنا، استنى استنى أنا دلوقتي بس بدأت أجمع الكلمات، ازاي جدك حكالي إن نديم اتقبض عليه ومات في السجن وازاي خالد قالي إنه كان هربان

ومحضرش جلسة الحكم وظهر بعدها بأسبوع لقيوه  
مقتول..

- إسلام احنا لازم نلاقي المذكرات دي بأي طريقة  
الموضوع كده فيه حاجة غلط!

- أيوة هنلاقيها ازاي يا محمود، إذا كان اللي شايها  
مات؟

- احنا هنروح البيت عندكم وندور وأكد هنلاقيها يعني  
هيخيبها فين!

- طيب ماشي بس مفيش قدامنا غير ساعتين بس لأن  
أمي وأبويا بعد كده هيكونوا في البيت بعد مراسم  
العزاء..

اتجهت أنا وإسلام إلى المنزل حيث يقطن الجد ودلفنا إلى  
الداخل وبدأنا بالبحث، مرت دقائق تليها ساعة ولم نعر على شيء  
حتى سمعنا صوت أحد ما آتي فتوجهنا مسرعين إلى الخارج عبر  
المدخل الخلفي وتوجهنا إلى بيتي لنفكر سوياً فيما حدث ونلملم  
شئنا عقلمنا لعلنا نكون فقدنا معلومة ما..

يتربني إسلام بينما أنا أتجول ذهاباً وإياباً أمامه في صمت  
يجول بخاطري تساؤلات عديدة لا أعلم لها إجابات كالأحاجي  
الغير منتهية ثم كسر الصمت نقرات على باب غرفتي..

دلفت أمي إلى الداخل لتقول أنها قد قامت بتحضير وجبة  
العشاء وعلينا أن نأكل..

بعد أن أتمننا وجبتنا التي تكاد تكون قضة واحدة ما دخلت  
إلى معدتي توجهت إلى الخارج ومعى إسلام يتسائل:  
- أين سنذهب!؟

أريد حقاً أن أقول له ولكني لا أعلم أين سأوجه فقط أريد أن  
أسير بعيداً أريد أن أنتشل ما تبقى لي من عقلي كي أستطيع التركيز  
أكثر في تفاصيل تلك القضية الغريبة قضيتي أنا!!  
ولكن سرعان ما آتاني الأمل من جديد وكأنه كان ينتظرني،  
اتصلاً هاتفي من خالد..!

- الو، أيوة يا خالد يارب تكون عندك أخبار كويسة..  
- أيوة ياعم أخيراً عرفت أوصل لآخر مكان كانت  
متواجدة فيه والدة نور بس الكلام ده من ثلاثة شهور  
يعني مش متأكدين إنها لسة في نفس المكان..  
- طيب مش مهم أكيد لو ملقينهاش هنعرف من الجيران  
مكانها..

- جيران! مفيش جيران يا محمود..

- مفيش جيران يعني إيه ممكن توضح يا خالد!!

- هبعثلك العنوان وروح شوف بنفسك..

بعد أن قام بإرسال العنوان توجهت ومعى إسلام إلى المكان  
المحدد وتفاجأت حين علمت أن العنوان كان لدار مسنين!  
الآن باتت محاولتي فاشلة وطريقي أصبح مموج ولن يستقيم  
ثانية..

توجهت إلى داخل الدار أجول بالمرمر حتى وصلت إلى الاستقبال قمت بالسؤال عنها فعلمت أنه تم نقلها إلى مستشفى الأمراض العقلية لفقدانها عقلها منذ خمسة شهور إثر فقدانها عقلها فقمنا بالتوجه إلى المشفى وهناك علمنا بأنها قد توفيت!!  
قمنا بالاتصال بخالد نُعلمه ما وجدنا فأتانا مسرعاً وبعد أن قام باستجواب بعض الممرضات والأطباء علم أنه قد تناولت جرعة زائدة من عقار ”دومبيريدون“ قد تسبب في توقف قلبها، موتاً مفاجئاً..

فبدأنا بالتوجه إلى غرفة الكاميرات بالمشفى وقمنا بفحص ملفات الزائرين مؤخراً في آخر أربعة أشهر حتى وقعت عيني على اسم مألوف..

- جابر سلام!!

- كان هو آخر من قام بزيارتها في فترة مكوثها بالمشفى وقبل أن أردف بكلمة واحدة كنت قد رأيته في إحدى الفيديوهات وهو جالس بجوارها ويلبس ملابس مريض!

- بالتأكيد هو من فعلها ولكن لماذا قام بذلك؟

- قام خالد بأخذ إجراءاته الأمنية وقام بفتح قضية جديدة بإثباتات القتل عن عمد ولكنها حتماً ستُحفظ..

كان في ذلك الوقت إسلام مذهولاً مما رآه ومما سمعه عن جده ولكنني كنت متيقن من أنه سيسْتَصعب ما سأقوله له..

- صديقي إسلام أعلم جيداً إنك مصدوماً في جدك وأنا أيضاً أكثر منك صدمة بما رأيته وبما علمته ومما قمنا باكتشافه أن جدك قاتلاً ولكنني لا أعلم السبب بعد، وأريدك أن تعلم إنك إن لم تكمل معي ما بدأته فلن أعتبرك سوى صديق طفولتي وسأقدر أسباب تنحيك عن استكمال مهمتي..

فكان رده كافياً لردع كلماتي، أريد أن أكمل يا محمود أريد أن أفهم صلة جدي بذلك الموضوع فالآن أصبحت منخرطاً معك سواء كان باختيارى أو مجبراً على ذلك!

- لا يوجد أمامنا سوى العثور على تلك المذكرات..

ذهب كلُّ منا إلى منزله فقد كانت الساعة قد تجاوزت الثانية صباحاً..

كنت مرهقاً تماماً تلك الليلة وأعلم أن الطبيب قد أمرني حريفاً ألا أصل إلى تلك المرحلة من الإرهاق، أتحرك ببطء شديد لا أكاد أن أخطو حتى استطعت الوصول إلى المنزل فدلقت إلى الداخل، ولكنني لم أستطع المكوث أكثر فسقطت أرضاً..

أفتح عيني برفق أكاد أستطيع حمل أجفاني، يتخلل جسدي الألم كما تتخلل الشقوق الحوائط لا أقوى على الحراك ولكنني استطعت تمييزها..! نور

- قولتلك بلاش تكمل يا محمود، قولتلك متدورش،  
قولتلك ارجع..

- نور؟!

- أيوة يا محمود نور..

لا أعلم لماذا تلك المرة أراها وكأنها المرة الأخيرة فتلك  
مرتي الأولى التي أراها بها يملؤها الآسى والحزن دائماً كنت أراها  
تبتسم بوجهي ولكن تلك المرة كان ملحوظ عليها الألم..  
نَظَرْتُ إِلَيَّ فِي آنِينَ تَتَأْمَلَنِي قَبْلَ أَنْ تَرُدَّ قَائِلَةً:

- محمود، بلاش تكمل بلاش كفاية كده وانساني..

لم تكمل حديثها فتساقط الدمع من عيناها كان كافياً لما  
بداخلها وأنا عاجز تماماً عن محادثتها، أشعر بالأسى لها ولكني  
أريد أن أعلم ما حدث أريد أن أجدها أريدها!

وضعت يديها فوق عيني فأغمضتها مرغماً وحينما فتحتها  
مرة أخرى وجدت نفسي ملقياً على الأرض بجوار درجات السلم  
فتذكرت ما حدث بالأسفل من قبل فقررت النزول مرة أخرى..

وتلك المرة قمت بالنزول برغبتني لا مجبراً على ذلك، عندما  
وصلت إلى الأسفل وجدت كل شيء كما من قبل، تلك الأتربة  
المتراكمة، خيوط العنكبوت التي تملأ المكان، المزهرية التي بدأ  
يتخللها الشقوق..

- المزهرية!!، لماذا موضوعة هنا؟!

ذهبت إليها وقمت بحملها فكستني الأتربة ولكني لاحظت  
ثقلها!

قمت بطرحها أرضاً فأصدرت دوي إثر تهشمها وهنا رأيتها،  
رأيت ما أبحث عنه أخيراً..!

كان يكسوها التراب، غلافها فضي اللون وكتب عليها كلمة  
«السر».

مذكراتها:

قمت بأخذها وتوجهت إلى غرفتي بالأعلى وجلست على  
مكتبي لأتصفحها..



لا أعلم حقاً هل أحبه أكثر أم يحبني هو أكثر فكلما اقتربنا  
من بعضنا البعض لا أستطيع الشعور بقلبي فقلبي بداخله وبداخلي  
قلبه..

اليوم أولى ذكرانا سوياً، اليوم هو عيد ميلاد نديم زوجي  
المستقبلي فقد عاهدنا بعضنا البعض أن يوم ميلاده سيكون يوم  
خطبتنا ويوم ميلادي سيكون يوم زفافنا واليوم هو يوم ميلاد نديم  
ويوم خطبتنا..

كم تمنيت أن لا يمر ذلك اليوم أبداً فذلك اليوم ولأول مرة  
أشعر بها بالفرح يتوغل جسدي وقلبي وعقلي، أصابعي تريد التشبث

بأصابعه، عيناى لا تريد رؤية غيره، شفتاى لا تنطق سوى باسمه  
وقلبي ينبض فقط لأجله «نديم»..

لقد مر يومنا الأول وذكرتنا الأولى ولكن شغفي وعشقي لم  
يمران فقد توقف الزمن الآن فزمني هو نديم فقط..

لا أستطيع تمييز وجوه من حولي فلا أعلم لماذا أرى نديم  
بهم جميعاً هذا أنفه يشبه أنف نديم وذلك له ابتسامته وهذا يلوح  
بيده مثله وذاك يتحدث بطريقته وكأن العالم أجمع قد تجمعوا في  
شخص واحد شخص قد امتلك قلبي وعقلي وجوارحي « نديم »..

تلك الليلة كانت لا يشوبها شيء سوى فتى أرعن قد جعلني  
أدعو ربي أن لا يراه نديم وإلا فلم يكن سيئاً يومنا بخير فقد كان  
ينظر إلي نظرات سيئة ولكني قد قمت بوعد نديم ألا أخفي عنه  
شيئاً لذلك قمت بتدوينها بمذكرتي كي يقرأها لاحقاً..

الآن علمت أنني لن تكتمل فرحتي مطلقاً فاليوم قد صارحني  
عمي بأمر مُشين!

لقد قال بأنه لا يرغبني لابنه نديم وأنه قد حدثت بينهم  
خلافات!؟

لا أعلم كيف أقول لنديم ذلك!  
هل حقاً لن أكون لنديم! لا، لا يمكن ذلك فبدونه لا أستطيع  
العيش يوم واحد..

لقد توسلت لعمي أن يتركنا نكمل حياتنا سوياً ولكنه رفض  
ولا أعلم السبب لماذا لا يريد أن يزوجني نديم لماذا تغير هكذا  
ولماذا أصبح ينفرنني ويعاملني بتلك القسوة بعد أن كان يدللني..  
اليوم قد حدثت مشادة بين نديم ووالده بسبب أنه طلب منه  
أن يتركني ولكن نديم رفض لذلك غضب منه والده وأراده أن يترك  
المنزل..

نديم الآن أصبح يعمل نهائياً وليلاً ولا يحدثني ولكني أعلم أنه  
يفعل كل ذلك لأجلي حتى يتسنى لنا أن نجتمعنا يوماً ما منزل واحد  
ولكن كيف! لا يوجد أمامي سوى أن أتحدث مع عمي كي يتركنا  
نحيا ولا يموت كل منا وحيداً..

لا أعلم كيف يحدث ذلك، اليوم ذهبت إلى عمي كي أحادثه  
ولكن ما حدث لا يمكن أن أتخيله، لا أستطيع الزواج من نديم  
لا يمكنني العيش بعد الآن لقد أفقدني حياتي لقد قام بالتهجم  
عليّ قال بأنه يحبني بأنه يريدني ولكن قد أنجذني منه نديم حتى  
حدث صراع بينه وبين أبيه ولكني قد تركتهم وهربت، هربت خوفاً  
لا أعلم ماذا أفعل وماذا أقول، أركض بالأجواء ولكني لا أعلم إلى  
أين أذهب أو إلى أين سيقودني الطريق حتى سقطت، سقطت أرضاً  
وعيناى تملؤها الدموع وقلبي تسارعت دقاته، وجسدي أصبح  
هزيل بعد أن تركتني روحي وهربت مني بعيداً الآن علمت أنني لن  
أستطيع الزواج ممن أحببت حتى أتاني صوت غريب!

أسمع خطوات تقترب مني، يدبُ الخوف في جسدي وحين نظرت إلى الأعلى وجدته، الشاب الذي كان يمقتني بنظراته الدنيئة ومعه اثنان آخران، قاما بالاعتداء علي حتى أتاني نديم للمرة الثانية لينقذني ولكن كيف ينقذني وأنا بالفعل قد قتلت، لقد فعلوا ما تمنوا فعله وعندما وصل نديم كنت ملقاة على الأرض ودمائي تسيل من جسدي فتقاتلا معه حتى قتل اثنان منهم وهرب ثالثهم بعيداً فحملني نديم وأتى بي إلى منزلي..

لا أعلم لماذا تلك المرة لا أستطيع النظر في عينيه لا أعلم لماذا يخبئهم عني لا يريدني رؤيتهم، دقات قلبه لا أشعر بها رغم احتضانه لي حتى أوصلني غرفتي فتركني وذهب، تركني ولم أراه مرة أخرى..

اليوم قد مر يومان ولم أرى نديم ولم أستطع الذهاب إليه، لا يمكنني الحياة من دونه ولكني لن أجعله يراني مرة أخرى وبعد أن قمت برفع دعوة قضائية ضد من فعلوا ذلك ح.....



كان ذلك آخر ما كتب بالمذكرات ولم تكمل، بالتأكيد قد حدث شيئاً ما!

انتفض جسدي حينما شعرت بالعجز لعدم معرفة ما حدث، جلست بركن الغرفة وأنا أحملق عالياً نحو سقفية الغرفة أتوسل إلى ربي كي يساعدني في حل ما أنا به من عجز، عقلي يان ألماً، أرى

خيالات ما حدث تمر أمامي كشريط سينمائي أقف كالمُشاهدين أتأملها وأراهم يعتدون عليها ولا أستطيع مساعدتها أشعر بالماً وهي تصرخ عالياً تنظر يميناً ويساراً بحثاً عن أي شخص يساعدها حتى وقعت عيناها بعيني فتوقفت عن المماثلة، سلمت حياتها حتى مات جسدها أراها بعينين دامعتين أحاول أن أمسك بها ولكن فور لمسي لها تختفي خيالاتي ويسكب الدمع خدي ليروي عظامي حتى لمعت في عيني فكرة ما، خيط ضئيل يُمكنني التشبث به، من الشخص الذي هرب؟ من الثالث الذي لم يقتل؟!

نعم أستطيع الاستعانة بخالد، أخرجتُ هاتفي وقُمت بطلبه..

- الوو، خالد أريد أن أعلم منك أمراً ما..

- مَنْ الذي أُقيمت ضده الدعوة التي أقامتها نور؟

- ماذا؟!

- أحقاً هو من أقامت ضده نور الدعوة!!

- حسناً، أعتقد بأنني وجدت خيط القضية علينا فقط أن

نتحدث معه سأقابلك بالطريق..

قمتُ بإغلاق الهاتف ثم توجهت مباشرة لملاقة خالد ثم

أطلعته على ما يجول بخاطري..

توجه خالد مباشرة إلى المشرحة وقام بالترتيبات اللازمة كما

قلت له وقام باستدعاء « محروس رجب » والده من أعضاء مجلس

الدولة وأيضاً صاحب شركات التعدين..

بعد وصوله أمره خالد بأن يدخل وحده بدون حراسة وقام بالدخول معه وأنا كنت بانتظاره..

ولكن عندما دخل علمت فوراً أنه هو المطلوب بالفعل فتلك الصدمة التي رأيتها تجوب ملامحه كانت كافية، فقد رأى جثة نور ممددة فوق الطاولة وعندما قام خالد بكسر السكون بحرفية قال:

- إنت متهم بقتل تلك الفتاة لذلك قمت بطلب دخولك وحدك!

- ماذا أنا متهم بذلك لماذا!! ما دليلكم أنا لم أقتلها ولا علم لي بشأنها..

- حسناً، خالد هذا ما كنت أقوله لك أنه سينكر ذلك ما علينا سوى القيام بالتحليل للتأكد من اعتداؤه عليها جنسياً قبل أن يقتلها وذلك سيكون كفيلاً بإعدامه..

كانت الجثة عبارة عن هيكل عظمي فقط ولكن كان بجوارها صورتها التي قد قمت من قبل برسمها والتي أيقنت أنها هي عندما رأيتها بتلك المذكرات وتلك هي كانت الخدعة التي قمنا بها وأعدناها له..

خالد ألقى اتهامه عليه ثم أردف قائلاً:

أن للجثة آثار اعتداء جنسي وذلك مبين من تهتك منطقة الرحم لعدم رغبة الضحية لذلك أيقنا من النظرة الأولى أنه تم الاعتداء الجنسي عليها قبل مقتلها وهنا كان محروس في حالة نفسية تسمح

لنا بالولوج إلى ما خزّنه بذاكرته بخصوص تلك الواقعة فكان العامل النفسي هو المؤثر الأهم في تلك الحالة..

حتى استطاع خالد إرغامه على التحدث فقال:

- لم أقم بقتلها!..!

- من قتلها؟!، ألقاها خالد على محروس..

- لا أعلم شيء كل ما أعلمه أنه تم الاتفاق معي فقط

لإغوائها وعندما فشلت في ذلك كان الاتفاق الآخر

هو القيام بمحاولة اغتصابها أمام خطيبها وذلك كل

ما فعلت ولكن ساءت الأمور عندما أتى خطيبها فقتل

أصدقائي فهربت وانتهيت من ذلك ولكني أقسم أنني لم

أقم بقتلها أو المساس بها..

- إن لم تكن قد فعلتها وقمت باغتصابها فكيف تعترف

الآن؟!!

ثم قام خالد بلكمه لكمة قوية أردته أرضاً حتى قال:

- نعم لقد قمت باغتصابها ولكني لم أقتلها لم أقتلها..

- من قتلها?!!

- لا أعلم من قتلها!

ثم قُمت بسؤاله أنا..

- من قام بالاتفاق معك?!!

قبل أن يُجيب كنت قد ألقيتها..“ والده ”

فأوماً بالإيجاب..

هنا، وقف خالد بركن الغرفة ثم أردف قائلاً:

- كده في حاجة ناقصة يا محمود..
- أيوة مين اللي قتلها وفين الجثة؟!
- محروس، أنا أقدر أخرجك منها وأقدر ألبسها لك،
- تشيلها وحدك ورحمة أمي أخليك تأخذ فيها إعدام لو
- معترفتش وقولت اللي عندك فوراً
- كان قد توجه خالد ممسكاً عنقه وهو يقولها ثم قال:
- أو هقتلك هنا دلوقتي.
- حاضر هحكيلك يا باشا بس إنتَ قولت إنك هتخرجني
- منها! ازاي يا باشا هتعملها؟
- زي ما عرفت أوصلك وأجيبك هقدر الأتيلك سكة
- أطلعك منها وكده كده القضية مقفولة ومش على ورق
- يعني ممكن ولا كان في أي قضية من أساسه..
- قصدك إن محدش يعرف غير حضرتك والأستاذ بس؟
- أيوة مفيش حد غيرنا يعرف باللي حصل احكي.
- في تلك اللحظة قام محروس بلكم خالد وطرحه أرضاً ثم قام
- بالنداء لحراسه حتى قاموا بالدخول عنوة فقال بصوت صاخب
- مش عاوز حد منهم يخرج حي من هنا..

كانت الأجواء قد التهبت فقام الحراس بإطلاق الرصاص  
بسلاح به كاتم للصوت حتى أصيب خالد في جانبه الأيمن فقام  
بالرد بإطلاق النيران فأصاب واحد منهم وأرداه قتيلاً والآخر استطاع  
أن يوقع سلاح خالد فقام يأمسك عنقه وضغطه بقوة بينما أنا قد  
جائتني رصاصة خاطئة من سلاح خالد قبل أن يسقط فأصابت  
قدمي..

كان خالد أوشك على الإستسلام فقد بدا عليه علامات خروج  
الروح من جسده وبدأ وجهه ينتفخ من نقص الأكسجين بجسده  
فقمتم بغرز مشرط التشريح الذي كان موضوعاً فوق الطاولة في  
منتصف عنق الحارس حتى سقط قتيلاً وهو ممسك عنقه الذي  
أصبح به خريز دماء ملاً الأرض، وكان في تلك اللحظة قد سمعوا  
مَن بالمشرحة صوت إطلاق الرصاص من سلاح خالد فقاموا  
بالاتصال بالشرطة وبعد عدة دقائق كانوا قد وصلوا ولكننا كنا قد  
فقدنا وعينا سوياً إثر إصاباتنا..

- محمود، محمود..!

- أستاذ محمود حضرتك سامعني؟

كانت الأصوات متداخلة برأسي الذي كان كعش عصافير  
تتصارع الأصوات بداخله حتى استطعت تمييز الصوت فقمتم  
بفتح عيني برفق شديد بسبب حساسية عيني لذلك الضوء الساطع..

غرفة بها بوابتين مقابلتين لبعضهما البعض لون الغرفة أبيض ناصع وأنا ممدد فوق سرير مرتفع من الخلف قليلا «شيزلونج» ويجواري فتاة تلبس نظارة ولباس أبيض تشبه إلى حد كبير طبية..

- حضرتك يا فندم الجلسة انتهت ودي كانت آخر جلسة لحضرتك دلوقتي أقدر أقولك إنك تخطيت المرحلة الكامنة لتصارع قواك الداخلية اللي سببت الهلاوس السمعية والبصرية ليك، أنا عارفة إن الموضوع كان صعب وحسيت قد إيه كم المعاناه اللي مریت بيها بعد فقدانك زوجتك وبنتك لكن صدقني مفيش حاجة اسمها مستحيل مفيش حاجة اسمها يأس وانكسار لو مقدرناش نقف من تاني ونستعد من جديد لخبطات الدنيا عمرنا ما هنتحمل نعيش حتى يوم واحد وإنّ كنت مثابر ومثال يقتدى به بسبب مرورك للتجربة دي وإنك قدرت تتخطاها..

لا أعلم ماذا أقول ولا أعلم من تلك الطيبة وما الذي تتفوه به، زوجتي!! من زوجتي!! ومن طفلي تلك!!، مرض! عن أي مرض تتحدث؟

تفاجئت حين رأيت خالد يدخل من ذلك الباب المجاور على يميني وهو بكامل قواه وبيبتسم ويردد قائلاً..

- حمدالله على سلامتک يا محمود!

- أنا عارف إنك زعلان مني إني مقدرتش أتواصل معاك طول فترة إقامتك هنا لكن ده كان طلب الدكتوراة أمل، سامحني إنني مقدرتش ألحقكم سامحني إني مقدرتش أنقذ أختي وبنتك، سامحني وبتمنى من ربنا إن نور كمان تسامحني..

- نور أختك!!، أنا مش فاهم حاجة!؟

- أنا فين أنا مش فاهم حاجة لا لا في حاجة غلط أنا أكيد بحلم لا لا..

هنا وضغطت الدكتوراة أمل على زر أطلق صافرة ثم أتت بضع ممرضات فقاموا بتكبيلي ومن ثم دسّت بزراعي إبرة مخدرة وهي تقول..

- الحالة رجعتله تاني مكنش لازم أسيبك تدخل دلوقتي يا أستاذ خالد كده الموضوع...

في تلك اللحظة قد بدأ تأثير المخدر على ملامحي، ورويداً رويداً قد فقدت الوعي مجدداً..

ولكن كان هناك صوت خافت وكأنه كان يجذبني من بعيد حتى بدأ في الظهور فانتفض جسدي على تلك الطاولة ومن حولي عدد من الأطباء يجرون عملية استخراج الرصاصة من قدمي ثم غفوت مجدداً لبرهة صغيرة أو ذلك ما توقعته فعندما فتحت عيني وجدتني فوق سرير بداخل غرفة وقدمي معلق أمامي بقطع من القماش أبيض اللون وبداخل ذراعي إبرة متصلة بمحاليل معلقة

بجواري وطيب أمامي ممسكاً بساعدي وينظر إلى عقارب الساعة  
قياساً لنبضي ثم أردفت قائلاً..

- أنا فين؟!!

- إنت في المستشفى العام..

- أنا بقالي كتير فاقد الوعي؟!!

- بقالك تقريبا ١٨ ساعة..

- فين خالد؟!!

ثم التفت إلى الخلف ليظهر من خلفه سرير ممدد فوقه خالد  
وهو ينظر إليّ ويقول..

- أنا هنا يا محمود حمدالله على سلامتكم..

- خالد، احنا لازم نخرج..!

بدا على وجه الطبيب علامات التعجب لما أقول ولكن كان  
رد خالد كافياً كإجابة لتعجب الطبيب..

- مش هينفع إنت تخرج دلوقتي ولا تتحرك على رجلك

مش أقل من شهر إنت الرصاصة كانت قريبة جداً

من العصب وفقدانك للدم كان غزير، الأطباء كانوا

بيفكروا في بتر قدمك لو كان الموضوع اتأخر بس

خمس دقائق فاهم يعني إيه يعني إنك تمشي على

رجليك دلوقتي مستحيل..

- خالد لازم نمسكه مش هينفع يهرب..

- قصدك مين، محروس؟! متقلقش الرجالة قامت  
بالواجب ولحقوه في المطار ودلوقتي هو في القسم  
بيتحقق معاه وكمان عاوز أبشرك، تم فتح قضية نور  
من تاني ورجالة البحث الجنائي بيدوروا على الجثة..
- الحمد لله، بس أنا لازم أخرج...
- دخل في تلك اللحظة إسلام وهو يقول:
- محمود عامل إيه؟
- أنا الحمد لله بخير..
- إنت يظهر حبيت المستشفيات كل يومين ترجعلها  
تاني ارحم نفسك شوية..
- هههههه يا بني دي كلها أقدار لو مش مقدر لي إن ده  
يحصل مش هيجصل.
- طيب أنا مبلغتش والدتك باللي حصل ده قوت اطمين  
عليك الأول..
- لا يا إسلام اوعى تعرفها حاجة عايزك تبلغها إني  
سافرت يومين شغل كده وأنا كمان هكلمها واطمنها  
عليًا..
- في دورية شرطة لقيتها عندكم من شوية وأنا جاي  
فخُفت يبلغوها بشيء
- دورية شرطة!! له!!؟!!

قبل أن يقوم خالد بالرد أتاه اتصال هاتفي فأجاب بلهفة وأخذ  
يتمتم..

- ها، ها، تمام أوي عاش يا رجالة ده خبر عظيم جداً  
استخرجوا الجثة وشرحوها وابعثلي التقرير على  
المستشفى..

ثم قام بإغلاق الهاتف ونظر إليّ ثم أردف قائلاً..

- محمود لقيوا نور...!

كان ذلك الخبر يتبعه عدة انفعالات بداخلي فرح يكسوه  
الحزن والألم فالآن باتت النهاية الآن قد وضعت نهاية قصتي  
ولكنني بالتأكيد سعيد لأنني استطعت أخيراً أن أكشف الحقيقة  
وأن أريح نور، نور التي تمنيت يوماً أن تكون لهماً ودماءً، أن تكون  
حياتي المقبلة..

- لقيوها فين؟!

- لاقوها في بيتها، لاقوها في البيت اللي إنت عايش فيه  
مدفونة!!

- إيه!! ازاي؟..

- بعدين هقولك كل التفاصيل دي لما نتأكد بعد تقرير  
التشريح..

## «بعد مرور يومان»

أتى التقرير مشيراً إلى تهتك بمنطقة الرحم وبضع كسور في الساعدين والقدم اليسرى وكان التقرير يؤكد اغتصاب الضحية قبل دفنها حية وذلك لوجود آثار ترابية بداخل منطقة الأنف وبداخل القفص الصدري وتحليل "DNA" للقتيلة أثبت أنه آثار السائل المنوي ترجع إلى عم جابر..

تم غلق القضية وإلقاء القبض على محروس بتهمة اغتصاب نور والمشاركة في قتلها وتم حبسه ١٥ عاماً..  
وبعد مرور ٤٥ يوماً..

استطعت استخراج اوراقا بمساعدة خالد لنقل جثمان نور لدفنه بمكان معلوم؛ لزيارتها من حين لآخر.

قمت بدفن نور عند مكان لقائنا الأول عند ذلك المكان بجوار الشجرة التي قد جمعنا يوماً ببعضنا البعض، لا أعلم هل كانت تلك خيالات أم كانت حقيقة ولكنها دوماً ستبقى بخلدي..  
أنا يمكن مكنوش عرفتك أو مبقاش قابلتك بس حسيت بكل اللي مريتي بيه مش عارف إذا كان ده حقيقي أو لأ بس كل إحساس حسيته معاكي كان حقيقة..

قمت بوضع مذكراتها فوق قطعة رخامية وضعتها فوقها لتشير إلى أن هناك من يرقده هنا..، وقمت بنقش اسمها على تلك القطعة الرخامية ووضعت صورتها المرسومة بكتابي فوقها ثم شعرت بيد تتحسس كتفي لفتاة تقول..

- أستاذ محمود، ألف حمدًا لله على سلامة حضرتك أنا  
نارين ممرضة حضرتك في مستشفى الدكتور حسام..  
التفت لتحية من تحدثني ولكنني صعقت مما رأيت حتى  
سقطت أرضا..!

- مالك يا أستاذ محمود، أنا آسفة إذا كنت خضيت  
حضرتك، أنا بصيت من فوق لقيت حضرتك فحييت  
ألقي التحية واطمئن عليك لأنني كنت مشيت من  
المستشفى قبل ما حضرتك تفوق من الغيوبة..  
مازلت مصعوقا مما أرى، إنهاااا!!!  
إنها نور..

